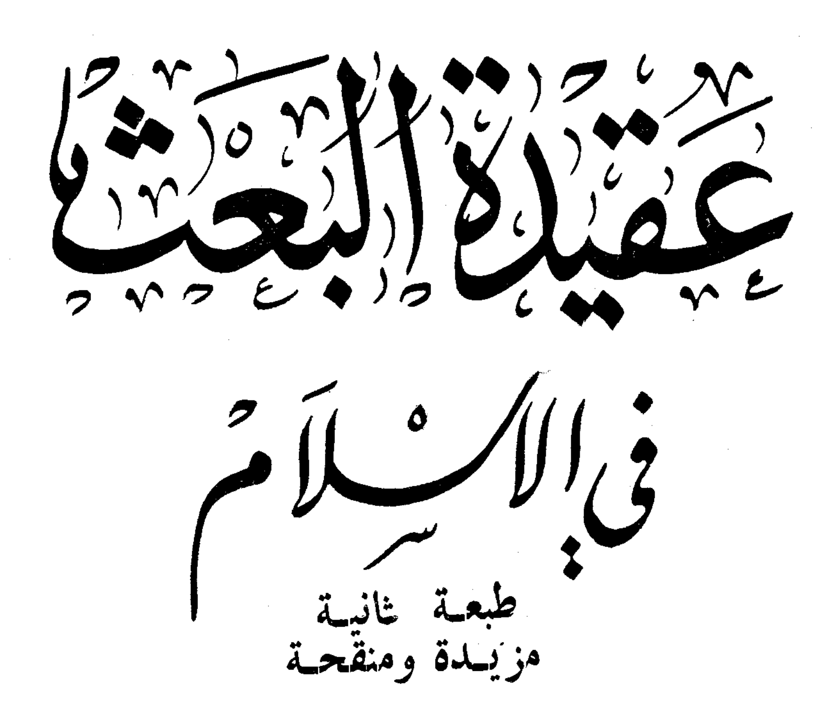
الجامعة التونسية

نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية



طبعة ثانية
مزيدة ومنقحة

تأليف

الدكتور التهامي نقرة









الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

عقيدة الحياة بعد الموت ، وبقاء الروح بعد فناء الجسد بوصفها كائنا حيا لها وجود مستقل خارجه ، كما لها اتصال به فى عالم البرزخ على شكل هو فوق التصور ، ثم العودة اليه عند الحشر للحساب والجزاء ؛ هي عقيدة البعث الفاصلة بين الايمان والالحاد ؛ بين التفسير الديني لحقيقة الانسان الذى يجعل لتاريخه وحياته ومصيره معنى اسمى وغاية أبعد ، ويكون الى جانب أعماله الخارجية حياة باطنية نسميها « الضمير الديني » ؛ وبين التفسير المادي الذى يقصر الانسان على الوظائف الفيزيولوجية ثم يسدل الستار نهائيا بعد موته على مسرحية حياته ، اذ الانسان فى نظرته ليس الا الجسد ٠

ولئن كان الايمان بالمعاد عنصرا اساسيا فى العقيدة الاسلامية ، بل وفى جميع الاديان السماوية السابقة قبل أن تحرف ، فليس ذلك لمجرد الدعوة الى فضائل الاعمال ومكارم الاخلاق ؛ باعتبار ان هذا الايمان يدفع الى الخير والصلاح، ويصد عن الشر والفساد ؛ ولا لمجرد التأثير لاحتمال المكاره فى العاجلة ، واتقاء الخسران الابدى فى الآجلة ؛ أو اعداد الناس لتلقي التعاليم الدينية بالقبول والاذعان ؛ ولا لمجرد تسلية المحرومين والمنكوبين والمضطهدين بأفراح السماء أملا فى الحصول على حياة أخرى سعيدة ، بل لكل ذلك مجتمعا ؛ ولامر آخر لا يقل أهمية ، وهو : أن هذه العقيدة هى عين الحقيقة على أساس الاثبات الخارجى للروح ، وبقائها بعد الموت ٠

ولعل الجديد فى هذه القضية انها لم تعد وجدانية فقط ، بل صار فى الامكان اثباتها بالدليل التجريبى ، وذلك بما فتحته الاكتشافات العلمية الحديثة من آفاق جديدة ٠

فقد اكد العلم الحديث ان جسم الانسان يتالف من ذرات تسمى « الخلايا » وهذه الخلايا تتحطم وتفنى فى كل آن ، والغذاء يعوض اجسامنا عن تلك الخلايا التى نفقدها كل يوم ٠ فكأنّ الجسم بناء يتألف من مئات الملايين من قوالب الطوب ، وهو يستبدل الطوب بطوب آخر فى كل لحظة ٠ فاذا كانت الروح

مظهرا من مظاهر الجسم فقط وجب ان تطرأ عليها التغيرات التى تحدث للجسم، كما تتأثر آلة الموسيقى عندما يتكسر وتر من اوتارها ، ولكن هذا لا يحدث فيما يتعلق بالروح (1) ، لان الانسان فى الداخل لا يتغير ، بل يبقى كما كان. علمه وعاداته وحافظته وأمانيه وأفكاره ، تبقى كلها كما كانت .

فكم من قلوب زرعت ، وكم من أعضاء عوضت دون أن يتغير شيء في الشخصية !

فلقد اثبتت التجارب العلمية ان الشخصية الانسانية لا تنحصر فيما نسميه « الشعور » بل الجانب الاكبر منها يبقى وراء الشعور او (اللاشعور) ، وذلك مما يبطل رأي بعض الفلاسفة القائلين بأن جميع أفعالنا العقلية الشعورية تتم في زمن محدد . ولكن لا شيء في (اللاشعور) يطابق الفكر الزمني ؛ فكأنهافى الحقيقة أزلية ، لان الدوافع والتأملات الحبيسة التى لم تخرج قط عن اللاشعور تبقى محفوظة آمادا طويلة ، وكأنها لم تحدث الا بالامس .

وقد سلم علماء النفس بهذه النظرية ، وهى : ان عمل اللاشعور لما كان خارجا عن حدود الزمان ، فانه لا يزول الى الابد ، ولا يؤثر فيه تقلب الحدثان . فهو وجود منفصل عن الجسم الذي يخضع لحدود الزمان والمكان . وذلك مما يفسر : أن الجسم شيء آخر يختلف عنه نوعا ، وينفصل عنه وجودا ، وهو الروح .

وكل واحد منا يستطيع أن يحس بداخله هذا الوجود الروحي على صورة حضور وشخوص وديمومة مغايرة تماما للوجود المادي المتغير المتقلب النابض مع الزمن خارجه . هذه الحالة الداخلية التى ندركها فى لحظات الصحو الباطني هى المفتاح الذى يقودنا الى الوجود الروحي بداخلنا .

ثم ان تطلع الانسان نفسيا الى عالم آخر دليل فى ذاته على أن شيئا مثل ذلك موجود فى الحقيقة ، أو أنه ـ على الاقل ـ خليق أن يوجد ، كالظما ، فهو يدل على الماء ، وعلى علاقة خاصة باطنية بين الماء وبين الانسان .

كما أن الظمأ الى العدل يدل على وجوده ، فلا بد له من يوم توضع فيه موازينه (2)

---

(1) وحيد الدين خان : الدين فى مواجهة العلم : 31

(2) مصطفى محمود . حوار مع صديقى الملحد : 56 ـ 58

والتاريخ يدلنا على أن الشعور البشرى بحياة ثانية بعد الموت موجود منذ اقدم العصور كما سنبين ذلك فى هذا البحث ٠

ولو كان هذا الشعور باطلا من أساسه فكيف يستمر مع الانسانية أحقابا عميقة الجذور ، ممتدة الاطراف ؟

ثم ان التجربة التى نعيشها اليوم ، تجربة الحياة التى ظهرت مرة واحدة لماذا نجعل حدوثها ثانية أمرا مستحيلا ؟

انه لا شيء أكثر تناقضا وعداء للمنطق من ان نسلّم بوقوع حادث فى الحال ، ثم ننفي وقوع مثله في المستقبل بلا دليل او برهان ٠ فمن قدر على فعل شيء لا يعجز عن اعادته أخرى ٠

واذا كانت هذه المشاعر والحقائق لا تكفي لاحساس البشر بالمسؤولية أمام المحكمة الالهية العادلة التى ستقام يوم الحساب ، فما الذى يفتح أعينهم وينير بصائرهم ؟

قال الله تعالى مبينا غاية البعث : « ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى » (1)

ان من يؤمن بالله وبقدرته القاهرة يؤمن فطريا بالمعاد ، اذ لا يوجد طريق آخر تتجلى فيه عدالة السماء ، وتبرز نتائج العلاقة بين الانسان وربه ، وبينه وبين الناس غير هذا الطريق ٠٠٠ قد يقول الماديون والطبيعيون : ما الذي يجنيه المرء من وراء البحث عن هذ السراب فى عصر سيطر فيه العلم او كاد على ما حوله ، حتى اقتحم الانسان به المجهول ، وارتاد الفضاء ، وغزا القمر ؟ انه من العبث ان يضيع وقته ويشغل فكره بمثل هذه القضايا الوهمية ، والناس من حوله فى سباق مع الزمن ، وفى صراع مع الحياة ، وفى رهان مع التقدم العلمي والحضاري ؟

ولو أدرك هؤلاء الحقيقة لايقنوا ان من اجلّ ما يبحث فيه الانسان جانبه الروحي ، ومصيره الابدي بعد الموت ، مثلما نراه اليوم حريصا كل الحرص على التخطيط والاعداد لمستقبله فى هذه الحياة الفانية ٠ بل ان اعداده لمصيره

---

(1) سورة النجم : 31 ٠

الابدي أوكد وأهم • وما فائدة العلم ان لم يحقق الى جانب الرقي المادي رقيا روحيا ، ولم يكن كمالا للدين ؟ كما قال الشيخ مصطفى عبد الرازق :

« لا اعتقد ان ارتقاء العلوم الحديثة ، وتقدم المدنية يبعد الناس عن الحياة الدينية والمعاني الروحية • فان الله أراد للناس ان يكملوا فى أمر دنياهم • وليس الكمال فى أمر الدنيا الا بأن ترتقي حضارتهم ، وتكمل مدنيتهم » (1)

فاذا كان سلّم الرقي المادي هو الفكر الذى حل الكثير من الغاز الطبيعة وأسرار الوجود ، فان سلم الرقى الروحي هو الروح التي هي من سنن الله المبدع والتى تجعل للانسان قيمة إلهية ، بما ينشر من ضياء ، ويبث من فضيلة ، ويزرع من خير ، ويغمر به الناس جميعا من عطف وحب ، ويمجد به الله من صلاة وحمد،حتى يجعل من روحه الطاهرة واحة :

مـاؤُهـا الايمـان أمـا غرسهـا فـالرجـا والحب والصبـر الطويـلْ
جوُّهـا الاخـلاص ، أمـا شمسهـا فالوفـا والصـدق والحلـم الجميـلْ

وبذلك تتغير نظرته للحياة ، ولقيم الاعمال المعنوية ، فيرى بعين البصيرة ما وراء النتائج العاجلة من سلوك الناس وتصرفاتهم كما قال ابن عطاء الله السكندرى فى مواعظه :

« لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة اقرب اليك من ان ترحل اليها ، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها »

وهكذا يتجلى لكل ذي بصيرة ان لا موت الا فى هذه الحياة • فمن فارقها انتقل الى حياة خالدة لا موت فيها •

ولكن شتان بين موت وموت • فموت المؤمنين العارفين نفحة حياة وفوز ونجاة ، وموت الجاحدين والمجرمين هموم وبلاء ، وحرمان وشقاء •

« فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون • ونحن أقرب اليه منكم ، ولكن لا تبصرون • فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين • فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم • وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين • وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم • ان هذا لهو حق اليقين »(2)

المؤلف

---

(1) مجلة الكتاب • س : 3 • ج : 9/1 •

(2) سورة الواقعة : 88 — 95 •

ماذا بعد الموت ؟

اقتناع الانسان بعودة الحياة بعد المــوت ، وبعد فنــاء الجسد ليس بالأمر الهين ، لأن مثل هذه القضايا الماورائيــة لا يُجــزم بصحتها او بطلانها عن طريق التخمين أو التفكير أو التجربة • فالانسان لا يملك أن يعرف الحقيقة كمــا هى الا بعد المــوت • والسابقون من الموتى لم يعد أحد منهم الى حياتنا ليحدثنا عما يجرى هناك • والعلم عاجز حتى اليوم عن اقتحام المجهــول فى عالم الغيب ، ولن يقدر على هذا أبدا •

لذلك نجد من مذاهب الفلسفة الحديثة ما ينكر الروح انكارا شديدا،ويرى أن الشعور فى ذاته ليس الا التفاعل والرد العصبي لما يحدث من حركة ونشاط فى العالم الخارجي •

وبناء على هذه النظرية،فانه لا مجال للتساؤل عن إمكان الحياة بعد الموت ، وذلك لتحلل النظام الجسماني ، وانعــدام المركــز العصبي فى العالم الخارجي (I)

وفى هذا المعنى يقول جميل الزهاوي على لسان من أنكــروا عودة الانسان بعد الموت ، أو لعله تأثر ببعض الفلسفات التي لا تؤمن بالروح :

مــــا للحيــاة وراء المــوت تجديـــــد

فــلا يقــوم مــن الأجــداث ملحـــود

(I) وحيد الدين خان • الاسلام يتحدى : 127

القبرُ آخر بيتٍ للأُلى هلكوا
والحس فى الهالك الملحود مفقودُ (1)

ولكن هذا الانسان الضعيف بجسمه ، القوي بروحه وفكره ، عزّ عليه أن يرى الموت يتخطّف الناس فجأة ، فيفرق الجمع ، ويشتت الشمل بين الأحبة ، ثم لا يكون لهم لقاء بعد هذا الفراق • فرفض منذ أقدم العصور فكرة العدم المدمرة لآماله وطموحه الى البقاء والخلود،ولو فى شكل آخر من الحياة • وعبّر عن رفضه لفكرة الفناء الأبدي بمختلف الوسائل والطرق كتحنيط الجثث ، ونحت التماثيل ، واقامة النصُب التذكارية حتى لا تنتهي رحلة الحياة التى ابتدأت بظلمة الرحم الى ظلمة القبر • بل إن بعضهم يرى فكرة الخلود فيما يتركه الانسان بعد موته من طيب الذكر وجليل الأثر فى الحياة الدنيا كما قال شاعر قديم :

المرء بعد الموت أحدوثةٌ — يفنى وتبقى منه آثارُه
يطويه من أيامه ما طوى — لكنه تُنشر أسراره
وأحسن الحالات حال امرىء — تطيب بعد الموت أخبارُه
ويفنى ويبقى ذكره بعدة — إذا خلت من شخصه دارُه (2)

أو كما قال فوزي المعلوف :

إيه يا موت لن تمس خلودي
فاقض ما شئت لستَ وحدك تقضي

(1) ديوان الاوشال : 127

(2) عيون الاخبار • لابن قتيبة ج : 519/3

وإذا كنتَ مالكا أمر روحي
مثلما أنت مالك أمر نبضي
فأنا خالد بشعري على رغم زمانٍ عن قيمة الشعر يُغضي (1)

أو كما قال العقاد :

فيمَ عشنا ، وغاية العيش موت
فيم متنا ، وغاية الموت بُقيا ؟
أعجبُ الحالتين عندي حي
سوف يفنى، لاميّت سوف يحيا(2)

أو كما قال جبران :

يا نفس لولا مطمعي بالخلْد ما كنت أعي
لحنا تغنيه الدهور
بل كنت أُنهي حاضري قسرا فيغدو ظاهري
سرا تواريه القبور (3)

وكم تساءل الشعراء والفلاسفة القدامى عن سر الموت ، وعما بعده ، مرددين في تحسر وأسى ما ينتظر الانسان من مصير محتوم !

وإزاء هذه الحقيقة ، حقيقة الموت ؛ فانه لا مناص من الإحساس أو التسليم بأن الإنسان جسد وروح • ومن هنا جاءت فكرةُ :

---

(1) عيسى اسكندر المعلوف : ذكرى فوزى المعلوف : 15
(2) عباس محمود العقاد : بعد الأعاصير : 23
(3) جريدة الشام : 1932 • ع • 9/38 •

ثنائيّة الإنسان، والعلاج الروحي لأمراض الجسم، وعلل الرّوح.

يقـول الروحيّون: إنّ لكلٍّ منّا ثلاثة أجسـام: أثيري، وروحي ومادّي. وكلا الجسمين المادّي والأثيري يغطيهمـا الجسم الرّوحي. ويستمد الجسم الأثيري قواه مباشرة من اتصاله بعالم الـروح خلال النّوم، حيث يجدّد نشاطه وانتعاشه. فإذا حدث أن ضعفت القوى المغناطيسيّة في الجسم الأثيري إلى درجة كبيرة، حدث الموت للجسم المادّي. ولكي نكون في حالة صحّيّة طيّبة، يتعيّن أن تعمل تلك الأجسام الثلاثة في توافق وانسجام، وأيُّ تنافر بينها ينشأ عنه المرض. فإذا حدث كان العلاج الروحي وحده هو القادر على إعادة العلاقات السليمة بينها. ويتمّ العلاج الروحي على الجسم الأثيري، وحينما تسلّط الأرواح المُعالِجَةُ إشعاعاتها الشافية؛ فإنّما تسلّطها على العضو الأثيري المقابل للعضو المادي المريض، فيتأثر هذا بذاك (1).

وقديما قال (ماهافيرا) الهندي: (يأتي عناء العالم من الرغبة. فالناس يعانون وهم تعساء؛ لأنّهم يريدون عددا كبيرا من الأشياء.. ومهما حصل المرء فإنّه يطلب المزيد. وبالتخلّي عن جميع الرغبات، يستطيع الإنسان أن يعدّ نفسه لأعظم سعادة روحيّة وهي «النيرفانا»؛ وبتجويع الجسد وتعذيبه، تشفى الروح من العلل والآفات، فتزداد خفّة، حتّى تصل إلى الجنّة السادسة والعشرين، وعندئذ تدخل (النيرفانا) (2).

---

1) محمد شلبي: يسألونك عن الروح :35

2) سليمان مظهر: قصة الديانات: 140

الرّوح في الأساطير القديمة

فإن الانسان فى العصور الغابرة لم يفته أن يعرف من ظواهر الروح أنها سر الحياة ، ومتى فارقت الجسد فسد ، ولكن أين تمضي ؟ ذلك ما تاهت فيه الظنون وتحيرت العقول ·

قال المعري :

وقد رأينا كثيرا بيننا جسدا
بغير روح ، فهل روحٌ بلا جسد ؟ (I)

وقديما عرف المصريون « أوزيريس » واتخذوه رمزا للطبيعة ، لأنه ـ حسب اعتقادهم ـ عاش ومات وبُعث ، كما تعيش الطبيعة وتموت وتبعث · ثم عرفوه الها للموتى ، يتولى محكمة الحساب بعد بعث الارواح

وتورد لدى الأساطير المصرية القديمة صورة لهذه المحاكمة · فالأخيار تقودهم الآلهة المحيطون بأوزيريس الى جنة الأموات الصالحين حيث ينعمون بالسعادة الأبدية ، والأشرار يسلمون الى الآلهة « معات » وهى كلبة مفترسة على استعداد دائم لتمزيق كل من حُكم عليه بالعقاب ، انها تثير الرعب بفمها الفاغر كالأتون ، ومخالبها الحادة كالسكين ، ورأسها الطويل كالتمساح ·

ومن هنا كانت العقيدة المصرية القديمة تؤمن بالبعث ، والحساب · وبأن الميت يعيش فى قبره ، لذلك يودع معه بعض

(I) لزوم ما لا يلزم · ج : I/273

الأثـــاث ويحنـــط ، ويزود بتعاويـــذ وتمائـــم تكتب على ورق البردى •

وأما الديانة الزرادشتية عند الفرس فتتصور مصيـــر الروح على هذا النحو • (عندما يموت الانسان تظل روحه معلقة الـــى جانب جسمه ثلاثة أيام بلياليها ، إما منعمة بنعيمه،أو معذبـــة بعذابه • وفى فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح معطرة ان كان الميت من اهل الخير ، أو نتنة ان كان شريرا ، فتحملها الى موضع يلتقي فيه إما بفتاة جميلة ، وإما بعجـــوز مفزعـــة على حسب أعماله،ثم يقاد الى مَعبر الحساب ، أين يوجد ثلاثـــة قضـــاة • وهناك ينصب ميزان توضع فى احدى كفتيـــه حسناتـــه ، وفى الأخرى سيئاته • وبناء على صعود احدى الكفتيـــن او هبوطهـــا يصدر الحكم على مصير هذا الميت • وعلى أثر انتهـــاء الـــوزن وصدور الحكم يؤمر المحاسب بالمـــرور فـــوق هـــذا المعبـــر ، أو الصراط الممتد فوق الجحيم الذى يتسع أمام الأخيار ، ويضيـــق أمـــام الأشرار، حتى يكـــون أدق من الشعرة،وأحدّ من الشفرة ، ليهوو سريعا فى جحيم مظلم • وأما الأخيار فيذهبون الى النور يستقبلهم « أهورامازدا » اله الخير خـــالق الكـــون وحافظـــه من الفساد . وهنالـــك يستمتعـــون فى كنف « مـــازدا » بالسعـــادة الأبدية (I)

أما الديانات الهندوكية والبوذية فانا لا نجد فيها عالما آخـــر للحساب والجزاء • انما نجد مكانه « النيرقانا » وهى الفناء فى الروح الأعظم،وان اختلفت وسائل الوصول الى هذه المرتبة بين الديانتين

(I) سيد قطب • مشاهد القيامة فى القرآن : 2I

فالعقيدة البرهمية تقول : لكل كائن حي روح تأتي من « براهما » روح العالم . ولما كان براهما لا يموت ، فان روح الكائنات الحية لا تموت . وعند موت الانسان تخرج روحه من جسده،وتدخل على الفور جسد طفل وُلد لِتوّه . فان كان ممن يحيى حياة طيبة صالحة ولد فى طائفة أعلى ، وان كان يحيى حياة مليئة بالشرور والآثام ولد فى طائفة أدنى . وقد يولد عليلا ليشقى طوال حياته عقابا له . وقد يولد فيلا . واذا صار فيلا شرّيرا فانه بعد موته يولد برغوثا أو بعوضة . ومن هنا جاءت عقيدة تناسخ الأرواح عند الهندوس . فالروح تتقمص عديدا من الأجساد خلال رحلتها فى الفضاء الخارجي حتى تصل الى هدفها النهائى .

لكن ما مصير تلك الروح التى تظل خيّرة مع مجرى الزمن ؟ إنها تنتهي من دورة الحياة لتعود الى روح العالم وتتحد معه . تلك هى السعادة الأبدية (1).فحكمة البراهمة تتلخص فى تجدد النفس وتخلصها من البدن كي تفنى فى براهما (الحقيقة بالذات) . ومن لم يصل الى هذا التجرد بقيت نفسه كالفراش الحائر،تنتقل من بدن الى بدن فى رحلة لا تنقطع ، وتناسخ أو تقمص لا حدّ له .

بينما الحكمة الفارسية فى ديانة زرادشت تصوّر العالم على أنه مجموعة أرواح،بعضها خيّرة،والأخرى شريرة ، وهي فى صراع مستمر،الى أن يقدَّر فى آخر الزمان لروح الخير الانتصار والغلبة (2).وكان اليبانيون يخافون الموتى،ويعبدون أرواحهم

---

(1) سليمان مظهر . قصة الديانات : 17 ـ 56

(2) ابراهيم مذكور . فى الفلسفة الاسلامية : 122

لأن غضبهم قد يُنزل بالعالم شرا كبيرا . ومن أجل استرضائهم كان لا بد أن يضع الناس للموتى هدايا ونفائس فى قبورهم كالسيف اذا كان الميت رجلا ، والمرآة اذا كان امرأة . ويحدث فى أحيان كثيرة أن يلجأ الناس الى التضحية البشرية،خاصة اذا أبى المطر الغزير أن يتوقف ، أو أريد لبناء كبير أن يثبت ولا ينهار . وكم حدث أن دُفع الأتباع مع سيدهم الذى مات ليدافعوا عنه فى أول مراحل الآخرة!(1)

وفى كثير من العقائد الوثنية الأخرى نجد حديثا عن الأرواح فى أساطيرهم،يدل على مدى ايمانهم بها ، وايمانهم بعالم آخر للقصاص والحساب . والانسان لا يسأم من البحث عن الخلود والسعي وراءه للحصول عليه ، بعد أن أعجزه أمر التغلب على الموت فى هذا العالم .

كان الجانتيون بالهند يقومون برياضات نفسيّة شاقة وخطيرة ، ويعتقدون أنّ السّعادة في الانتحار ، وخاصّة عن طريق الجوع ، فهو أعظم انتصار يؤهّل الروح لأسمى المراتب ، ويحرّرها من العودة إلى الدّنيا عن طريق التناسخ. وما أكثر تعرض الإنسان فيها إلى الخطايا ! إذ كثيرا ما يؤذي كائنات لها أرواح ، فيؤثّر ذلك أسوء تأثير في طريقة تناسخ روحه.
ومن وصايا رهبانهم :
لا تأبه للذّة أو ألم ، ولا تأكل لحم حيوان،ولا تأكل العسل ، لأنّه حياة النّحل. وإياك أن تغلّي الماء ، فقد تقتل ما فيه من حشرات لا تراها العين ؛ إذ من أكبر الخطايا أن تؤذي كائنا له روح ، وإن كان بعوضة.
فهم لا يفرقون في القداسة بين روح الانسان وغير الإنسان.(2)

---

(1) قصة الديانات : 246 .

(2) المصدر السابق : 146

الرّوح عِند فلاسفة اليُونان

وأكثر الفلاسفة اليونانيين علـى أن الـروح عنصـر لطيف مختلف عن البدن متى فارقته عادت إلى عالمها العلوى ، سابحة فى عوالم الفلك ، غير قابلة للموت كما قال « فيثاغورس »

وعند أفلاطون أنها جوهر الانسان • وهى ذات مستقلة عـن البدن ، فليس جزءا من ماهيتها ، ولا يدخل فى تعريفها • وهى تهبط مكرهة من عالم علوي الى أحد الأجسام •

ومن الواجب أن تعمل ما استطاعت على التطهـر من الأدران التى تلحقها بسبب وجودها فى سجن الجسد • والموت هو سبيل الخلاص لها • والنفوس خالدة لا تموت • وأرسطو كذلك يراها مستقلة عن الجسم ، ذات وجود سابق عليه ، وتخلـد بعده فـلا تموت (1)

ويقول أفلوطين : ربما خلوت بنفسي،وخلعت بدني ، وصرت كأني جوهر بلا بدن ، فأكون داخلا فى ذاتي ، خارجا عن جميع الآشياء ، فأرى فيها من الحسن والبهاء ما أبقى له متعجبا مبهورا ، فأعلم أني جـزء من أجـزاء العـالم الأعلـى (2).وقد تنـاول اليونانيون النفس بالدرس والتحليل ، وكانت لهم فيهـا آراء

---

(1) بنت الشاطىء • القرآن وقضايا الانسان : 180

(2) راجع كتاب (الروح الخالدة) : 37

ونظريات مختلفة • فمنهم الماديون الذين اعتبروها مجرد جسم لا ميزة له ولا اختصاص • ومنهم الروحيون الذين ألهوه عن عالم المادة ، ورأوا فيها قوة الهية روحية تهبط الى البدن من العالم العلوي • ومنهم من وقف موقفا وسطا ، فجعلها مزاجا بين الجسم والروح ، أو بخارا حارا كما قال الرواقيون ، أو صورة للجسم كما ارتأى ذلك أرسطو وأتباعه (1)

وإذا كان الباحثون قد انقسموا قديما إزاء طبيعة النفس الى ماديين وروحيين ، فمن الخطا أن نسوي بين مادية التاريخ القديم ، ومادية العصر الحديث • ذلك أنه لا يوجد لدى اليونانيين مادي خالص ، ولا روحي خالص ، وكثيرا ما التقى الأمران • وفوق هذا فهم متفقون على القول بالنفس وبوجودها، وعلى أن للظواهر النفسية مصدرا وأصلا تعتمد عليه بجانب الجسم • ومن هنا كان اختلافهم بين المادة والروح اختلافا فى الرتبة لا فى الطبيعة (2) • لذلك نرى فى جميع أطوار الفكر اليوناني أن المادة التى يتكون منها الوجود هى التى توحي الى جوهر يرتفع عن المادية فى ماهيته ، بمعنى أن التأمل فى الطبيعة بحثا عن أصلها وكنه وجودها لم يكن هدفا لذاته ، ولكنه وسيلة الى عالم الروح • فكانت المدرسة الفيثاغورية ـ وهى ذات نزعة صوفية ـ تمجد الروح ، وتحيا حياة الزهد والتقشف (3).وكانت

---

(1) فى الفلسفة الاسلامية : 124

(2) Janet etséailles. Histoire de la philosophie : 25

(3) أحمد أمين وزكى محمد • قصة الفلسفة اليونانية • ج : 1/41

الأفلاطونية الحديثة تبحث عن علة وجود المادة ، وجوهر الروح ، وانطلاقها من سجنها الى عالم الحقيقة الأزلي. وقد قال أفلاطون : إن المعرفة تصعد من المحسوس الى المعقول ، وتُخضع الأول للثاني (1)

ومشكلة الصّلة بين الجسم والنفس لم توضع عند فلاسفة اليونان وضعا صحيحا.
فأفلاطون يقول بثنائيتهما — أي : إنّ النفس حقيقة مغايرة للجسم ومتميزة عنه ، فلا يمكن أن تكون صورته ، ولا عرَضا من أعراضه ، بل هي شيء آخر مخالف له كلّ المخالفة ، ولكنّه في حديثه عن الصّلة بينهما غامض مضطرب. فهو يقول حينا بمغايرة النفس للجسم. ويقول حينا آخر : إنّهما على اتّصال وثيق، وبينهما صراع دائم.
فالجسم يصرف النّفس عن الفكر ، ويجلب لها آلاما كثيرة بميوله وأهوائه ، وهي تحاربه وتجدّ في الخلاص من مطالبه.
ولكن كيف يتمّ التفاعل ، ويلتقي الجسم بالنفس ويؤثر كلّ منهما في الآخر ؟ هذا ما لم يجب عنه أفلاطون.
وقد نقد أرسطو ما ذهب إليه الأفلاطونيّون من أنّ النّفس جوهر روحي واعتبره ضربا من الخيال ، لأنّه لم يستطع أن يتصور نفسا تأتي من الخارج لتحل في جسم من الأجسام. فالنّفس عنده صورة الجسم، والصّورة والمادّة متّصلتان ومتداخلتان بحيث تكوّنان شيئا واحدا ، وهذا حلّ غامض أيضاً.(2)

(1) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية : 8

(2) إبراهيم مذكور : في الفلسفة الإسلامية : 172



فكـــرة خلود الرّوح

ففكرة خلود الروح حينئذ قديمة ، شغف الانسان بالبحث فيها منذ أقدم العصور ، بدافع التطلع الى المعرفة والظما الى الحقيقة ؛ أو بدافع الثأر من الموت الذى قهر العباد ، والأمل فى امتـداد الحياة على ما فيها من شقاء وآلام ٠

ولعل غريزة حب الحياة كانت أول ملهم الى القول باستئنافها والاحتفاظ بها ٠وقد صوّر الانسان هذا الاستئناف للحياة بصور شتى وأشكال متباينة ، هى فى جملتها صدى لرغباته،أو انعكاس للحياة التى يحياهـا ٠ فتصورَ الصعاليـك الذين يعيشـون على السلب وسفك الدماء ان الخلود يعني عودة الانسـان فى شكل مارد جبار يثأر لنفسـه ممن اعتـدى عليـه ٠ وتصـوّره بعض المتحضرين ضربا من اليقظة يرفل به المرء فى حلـل السعـادة والنعيم ٠ ولهذا أعدوا فى القبور وسائل الزخرف والترفيه ٠

ثم جاءت الأديان السماوية،فصورت الخلود فى أسمى معانيـه وأغدقت على الحياة الآخرة شتى الأوصاف ، بين مادية وروحية ، حسية ومعنوية ، كى تُقنع العامة وترضي الخاصة ٠ وكل ما جاء فيها من تصوير أو تشخيص فهو حق ، لأن مصدره الحق ٠ وليس ثمة فلسفة إلا قالت كلمتها فى الخلود ٠

. واذا شئنا ان نمثل لمختلف عصور التاريخ بفيلسوف ، فهناك ثلاث شخصيات لامعة ، لا يكاد يُذكر موضوع الخلود الا ذُكـروا معه ، وهم : أفلاطون ، وابن سينا ، وكانط ٠ (1)

(1) فى الفلسفة الاسلامية : 176 ـ 177

فابن سينا مثلا يقص علينا فى خيال يشبه خيال أفلاطون قصة نزول الروح من عالمها ، ومقامها فى هذا العالم الفانـي ، ثم عودتها الى اللانهاية حيث أبدية الخلود فيقول :

هبطت اليك من المحلّ الأرفـع ورقاء ذات تعـزّز وتمنّـع ·
محجوبة عن كل مقلـة نـاظر وهى التى سفرت ولم تتبرقع·
وصلت على كره اليك وربمـا كرهت فراقك وهى ذات توجّع
ان كان أهبطها الالـه لحكمـة طُويت عن الفذ اللبيب الأروع
فهبوطها لا شك ضربـةُ لازب لتكون سامعة لمـا لم تسمـع ·
وتعـود عـالمة بكـل خفيـة فى العالمين فخرقها لم يرقـع ·

ولم يقتصر ابن سينا على هذا الشعـر والتخيـل ، بل أقـام البراهين المنطقية،والأدلة الفلسفية على حقيقة خلود الروح ·

وتجدر الاشارة هنا الى أن جميع الأديان السماوية دعت على لسان رسلها الى الايمان بالبعث كعقيدة دافعة الـى الخيـر ، لا تنفصل عن عقيدة الايمان بالله ·

فنوح عليه السلام يقـول لقومه : « **والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا** » (1)

وموسـى عليه السلام يقول فى دعوته لفرعـون وأتباعـه : « **منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى** »(2)

وعيسى عليه السلام يقول وهو فى المهد : « **··· والسلام علي يوم وُلدت ، ويوم أموت ، ويوم أُبعث حيا** » (3)

---

(1) سورة نوح : 17 _ 18

(2) سورة طه : 55

(3) سورة مريم : 33

ومما يدل على ما أصاب التوراة من تحريف،أنا لا نجد فيها شيئا عن البعث ويوم القيامة • وربما كان الحديث عن ذلك لم يرق لليهود لطغيان المادة عليهم ، وشدة حرصهم على الحياة الدنيا فحذفوا من توراتهم كل ما عارض أهواءهم • فى حين أن الديانة اليهودية فى أصلها تقرر حقيقة البعث والنشور والحساب،كما ينبىء بذلك القرآن الكريم فى كثير من المناسبات كقوله تعالى :

« أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى • أعنده علم الغيب فهو يرى • أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى • وأن ليس للانسان الا ما سعى.وأن سعيه سوف يرى ، ثم يُجزاه الجزاء الأوفى ، وأن الى ربك المنتهى » (1)

ولكن أسفار العهد القديم التى بين أيدينا الآن قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه • ومن ثم لا نجد من فرَق اليهود الشهيرة من يؤمن به على الوجه الذى يقرره الاسلام • ففرقة الصدوقيين تنكر قيام الأموات ، وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين انما يحصلان فى حياتهم الدنيا •

وتذكر أناجيل المسيحيين أن هذه الفرقة حاولت أن تستدرج المسيح حتى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الآخر ، ولكنهم أخفقوا فى محاولتهم بعد ان بين لهم المسيح فساد وبطلان الأدلة التى يعتمدونها فى هذه القضية ، وكا نمما قال لهم : « عجبا لكم ! كيف تنكرون قيامة الأموات ، مع أنكم تقرأون فى كتبكم أن الله قد قال : أنا اله ابراهيم واسحاق ويعقوب ، والله تعالى

---

(1) سورة النجم : 33 ــ 38

اله للأحياء ، أو لا يصح أن يكون الها للأموات ؟ فلما سمعوا منه ذلك بُهتوا من حجته ، وسُر الفريسيون لأنه أفحم الصدوقيين » (1)

وفرقة الفريسيين اليهودية تعتقد أن الصالحين من الأموات سيبعثون على هذه الارض ليشتركوا فى ملك المسيح الذى سيأتي فى آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ، ويدخلهم جميعا فى ديانة موسى . أى إن بعث هؤلاء سيحصل فى الحياة الدنيا. فمهما يكن من خلاف بين الفرقتين،فانهما تتفقان فى انكار اليوم الآخر (2).وقد ورد فى بعض فقرات التلمود ذكر للجنة والنار . ولكن فى صورة هي الى الأسطورة أقرب منها الى الحقيقة،ومما جاء فى ذلك : « أن الجنة تأوي اليها الأرواح الزكية وأنه لايدخلها الا اليهود ، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت ملك الأسماك الذى يتسع حلقه لسمكة طولها ثلاثمائة فرسخ . والله تعالى يقضى الساعات الثلاث الأخيرة فى اللعب مع هذا الحوت . ومن حكمته سبحانه أنه حرَمه من أنثاه حتى لا يتناسلا ، فتمتلىء الدنيا وحوشا تهلك من فيها . وتأتي على الحرث والنسل . ولهذا حبس الذكر بقوته الالهية ، وقتل الأنثى وملّحها وحفظها لطعام المؤمنين فى الفردوس » (3)

ومثل هذا الهراء يتنافى وتنزيه الاله ، فلا يجوز قبوله، بل يجب تكذيبه كما قال المعرى :

---

(1) انجيل متى . اصحاح : 22

(2) على عبد الواحد وافى . اليهودية واليهود : 46 – 47

(3) ابن حزم . الفصل فى الملل والاهواء والنحل . ج : 1/164

فقد كذبت على عيسى النصارى
كما كذبت على موسى اليهود (1)

جاء فى كتاب « الحياة بعد الموت » وهو يتضمن الحوار الثانى الذى دار بين علماء المسيحية والاسلام واليهودية فى نطاق الميثاق العالمى للأديان،وذلك فيما بين 7 و 8 جويلية سنة 1967 ·

جاء فى قول الحبر : (Rabin Josey Eisenberg) بهذا الكتاب ما يفيد أن فكرة الحياة بعد الموت لم تصبح كجزء من العقيدة اليهودية بصفة رسمية الا فى القرن الثالث عشر ميلادي ·

فهو يقول :

ورغم أن التوراة لم تتحدث عن الحياة الأخرى،فانها جاءت لتنير عقولنا فى حياتنا الدنيا بما أثارته من قيم أخلاقية كثيرة ·

ومنذ القرن الثالث عشر للميلاد،دخلت هذه الفكرة فى الديانة اليهودية بعد أن تحدث عنها الحبر(موسى بن ميمون :Maimonide) فى كتبه ، واعتبرها جزءا من العقيدة اليهودية،باعتبار أن مشكلة مصير الروح وحياتها بعد الموت هي فرصة لا بد أن تكون متاحة للاله ، كي يثيب الخيّر ويعاقب الشرير · ولما كان هذا الجزاء لا يوجد فى الحياة الدنيا ، فلا بد أن يوجد فى الحياة الأخرى ·

---

(1) لزوم ما لا يلزم : ج : 1/247

فاليهود اليوم يعتقدون أنه توجد ثلاثة عوالم : عالم قبل الحياة ، وعالم فى حياتنا الدنيا ، وعالم بعد الحياة ·

أما العالم المملوء حركة ونشاطا ، فهو عالمنا هذا · فالفرصة الهامة التى يتسنى للانسان أن يتمتع فيها بحريته ، فانما هي فى هذا العالم ··· فعلى الانسان أن يكون قويا أمام الاله حتى يمتلك الوجود ، لأن من لا يملك الحياة لا يمتلك الوجود ، ولأن طلبه الرحمةَ من الله ضعف منه لا يليق به · وحياتُنا الراهنة هى حياة الاستحقاق ، لأن كرامة الانسان تظهر فيها جلية بحرية التصرف ، وبالتوبة وطلب الغفران · ثم نتحول الى عالم جديد، فنقطف ثمار ما زرعناه فى الدنيا،ونكون فى ديمومة مستمرة ليس فيها أي تقدم أو تطور · أما قبل الحياة فلا كرامة للانسان ولا قيمة له » (I)

فيبدو أن فكرة الجزاء عن الأعمال فى الدنيا هي التي دفعت اليهود الى القول مؤخرا باليوم الآخر · ومع ذلك فهم يعتبرون أن الحياة التى تستحق العناية انما تكون فى الدنيا ، لأن الديمومة فى الآخرة ـ حسب زعمهم ـ جامدة مملة ·

وليس من شك فى أن مثل هذا الاعتقاد يُملي على صاحبه فكرة القوة واستخدامها للسيطرة على الحياة وبلوغ أهدافها · ومن هنا نجد من خلال فلسفتهم فى الحياة نوعا من التحدي حتى للاله منشىء الاكوان وخالق الحياة وواهب النعم ؛ ومن الاستخفاف بالحياة الأخرى التي تُعتبر فى الديانتين الاسلامية والمسيحية هي منتهى الآمال ومطمح الأنظار ·

(I) **La survie** après la mort : 140-141

فقضية البعث في العهد القديم لا تتمثل في معرفة : هل هنـــاك بعث وحياة آخرى ؟ بمعنى : هل للوجود الانسانى استمرار بعد الموت ؟ ولكن القضية تتمثل في أن الوجود بعد الموت هو بؤس وشقاء ، لا للمذنبين فقط ، بل للجميع • فمأساة الانسان وحيرته المضنية تجاه الموت عند اليهود ، ليس مردهما الخوف من الفنـــاء لأن الفناء يمحو مشكلة المصير ، كما قال على بن أبى طالب :

ولــو أنـــا إذا مـتـنـا تُـركـنـا
لكـان المـوت راحـة كـل حـيّ (1)

ولكن مردّ حيرتهم الى الفزع من استمرار حياة منقوصة بلا أمل ، هي في الحقيقة موت •

ثم ان الذي لا يقبله المنطق الديني بحـال ، أن يعتبـر طلب العفو والغفران من خالق الوجود ضعفا للانسان !

انا لنجد في القرآن والحديث وفى الأناجيل ما يدل عـلى أن الفطرة السليمة في شعور الانسان دوما بضعفه أمام قوة الله ، وبفقره أمام غناه ، وبذله أمام عزته ، وبحاجته الى رحمته • فالأنبياء ، وهم صفوة من قربه الله الى حظيرة قدسه ، وبرّأهم من النقائص ، وعصمهم من الذنوب والآثام ، نراهم يتوجهون الى الله فى ضراعة واستكانة ، مؤمّلين رضاه ، راجين عفوه :

قال نوح : « **رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ، والإ تغفرْ لى وترحمنى أكنْ من الخاسرين** » (2)

---

(1) ديوان على بن أبى طالب : 64 (ط• بيروت 1327 هـ)

(2) سورة هود : 47 •

وقال موسى : « **انْ هي الا فتنتُك تُضل بها من تشاء ، وتهدي من تشاء • أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين** » (1)

وقال خاتم الأنبياء مناجيا ربه : « **اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس • يا أرحم الراحمين • أنت رب المستضعفين وأنت ربي • إلى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدوٍ ملّكته أمري • ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ••** » (2)

وقال المسيح لتلاميذه : « **متى صليتم فقولوا : أبانا الذى فى السموات ؟ ليتقدس اسمك ! لتكن مشيئتك فى السماء وفى الأرض ! اغفر لنا خطايانا** » (3)

وليؤكدّ الخالق دوام الصلة بينه وبين أنبيائه كانت أجلّ الصفات التى ينعتهم بها،هي صفة العبودية له سبحانه

« **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أوّاب** » (4)

وهذه الصلة الالهية المبنية على ضعفهم أمام قوته سبحانه هي خيرُ ما يستمدون منه القوة والثبات فى الحق ، والقدرة على مقاومة الصعاب ، والصبر على تحمل الأذى فى الدعوة •

---

(1) سورة الاعراف : 155

(2) رواه البخارى

(3) انجيل لوقا • اصحاح : 11

(4) سورة ص : 29

وهذا الشعور هو الذى يهذب النفوس ، ويفجر ينابيع الخير ، ويرهف الحساسية ، ويغرس الرحمة التى تنسم ظلالها على المكروبين والمعذبين فى ساعات العسرة والضيق (I)

إن الله يحب من عبده أن يلجأ إليه ويسأله من فضله كلّما أقعده مرض ، أو أقلقه همّ وضيق ، أو أزعجته أزمة ، أو أصابته مصيبة ؛ حتى لا يبقى سجين ضعفه وجهله ، ولا يستغني عن عناية الله بما يملك ، ولا يكتفي بقواه الخاصّة ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترّمذي : « سلوا الله من فضله ، فانّ الله يحبّ أن يسأل. وأفضل العبادة انتظار الفرج ».

وفي الحديث القدسي :
« يا عبادي ، كلّكم ضالّ إلاّ من هديته ، فاستهدوني أهدكم.
يا عبادي ، كلّكم جائع إلاّ من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم.
يا عبادي ، كلّكم عار إلاّ من كسوته ، فاستكسوني أكسكم.
يا عبادي ، إنّكم تخطئون باللّيل والنّهار ، وأنا أغفر الذّنوب جميعا.
فاستغفروني أغفر لكم ».

ولكن أين هذه الوصايا بالأوبة إلى الله من ادّعاءات التلمود بأن نار جهنّم لا سلطان لها على مذنبي بني إسرائيل ، وادّعاء أحد الحاخامات من اليهود : أنّه لا حساب بعد انفصال الروح عن الجسد الذي فني ، وإذا كان الجسد هو المسؤول عن الذّنوب ، فلا يمكن أن تسأل عنها الرّوح ؟

(I) التهامى نقرة : سيكولوجية القصة فى القرآن : 558



البعث في الديانة المسيحية

وفى الديانة المسيحية ما يدل في وضوح على أن وراء حيـاة الانسان فى الدنيا حياة أخرى أبدية فى ملكوت الـرب تتسـم بالاستمرار والخلود لمن تخلّصه أعماله الخيِّرة من حالة المـوت • وأما الشر فانه يجلب لصاحبه الفساد بالموت لعدم أهليته للحياة فى الفردوس •

جاء فى كتاب « تجسُّد الكلمة » : « اذا حفظ الانسان النعمة واستمر صالحا استطاع أن يحتفظ بحياته فى الفردوس بلا حزن ولا ألم • أما إذا احتقر غيره ، ورفض التأمل فى الله ، ودبـر الشر فقد استحق حكم الموت الذى أنذره به الرب • لأن تعديه للوصية أعاده الى حالته الطبيعية ، فتكون النتيجـة الانحـلال والبقاء فى حالة الموت والفساد » (1)

وقد أوردت الأناجيل أقوالا للمسيح فى التبشير بملكوت الله وفى الحساب يوم الدينونة • جاء فى انجيل متى : « أقول لكم : ان كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابـا يوم الدين » (2)

وجاء فى إنجيل يوحنا : « أنا القيامة والحياة • فمن آمن بي فسيحيا وان مات » (3)

---

(1) تجسد الكلمة • تعريب : مرقس داود : 21 ـ 22

(2) اصحاح : 12

(3) اصحاح : 14

وجاء فى انجيل مرقس : « وان أعثرتْك عينُك فأقلعها وألقها عنك • فخيرٌ لك أن تدخل الحياة أعور من أن تُلقى فى جهنم ، حيث دودها لا يموت ، والنار لا تُطفأ » (1)

وجاء فى انجيل لوقا : « وسأله رئيس قائلاً : أيها المعلّم الصالح ! ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا الا واحدا وهو الرب • أنت تعرف الوصايا : لا تزن • لا تقتل • لا تسرق • لا تشهد بالزور • أكرم أباك وأمك • فقال : هذه كلها حفظتها منذ حداثتى • فلما سمع ذلك قال له : يعوزك أيضا شيء • بعْ كل ما تملك ووزِّعه على الفقراء ، فيكون لك كنز فى السماء • وتعال اتبعنى • فلما سمع ذلك حزن لأنه كان غنيا جدا • فلما رآه يسوع قد حزن قال : ما أعسر دخول ذوي الأموال الى ملكوت الله ! » (2)

وايمان المسيحيين بالحياة بعد الموت يعادل ايمانهم بالمسيح وبقدرته على احياء الموتى ، وهو من معجزاته كما جاء على لسانه فى القرآن : « **•• ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم • انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائرا باذن الله ، وأبرىء الاكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله** » (3)

وفى الأناجيل حكايات تعرض وقائع فى إحياءالمسيح للاموات • ومن ذلك مثلا ما ورد فى انجيل لوقا :

---

(1) إصحاح : 8

(2) اصحاح : 10

(3) سورة آل عمران : 49

« ... فلما اقترب يسوع الى باب المدينة • إذا ميت محمول ، وهو الابن الوحيد لأمه الأرملة ، ومعها جمع كثير من المدينة • فلما رآها حن عليها ، وقال لها : لا تبكي • ثم تقدم ولمس النعش، فوقف الحاملون فقال : أيها الشاب ! لك أقول قم ! فجلس الميت ، وأخذ يتكلم • فدفعه الى أمه • فأخذ الجميعَ خوف ومجّدوا الله ... » (1)

وللكاثوليك فلسفة مسيحية فى الحياة والموت على ضوء الوحي الذى جاء به المسيح فى خلود الروح :

يقول جان دانيال (Jean Daniéle) فى الحوار الذى جرى بينه وبين عالم مسلم وآخر يهودي :

« معنى الموت والحياة عندنا ، ليس هو المعنى المتعارف بيننا اليوم • فالعهد الجديد يعني بالموت : حالة الانسان المنبوذ الذى تخلت عنه العناية الالهية ، فبقي لبؤسه وشقائه • وهذا هو موت الروح المحروم من رحمة السماء ، ومن القوة الالهية ، التى تقوّي كيانه . ويعني بالحياة : حالة الانسان اذ تحفّ به العناية الالهية وتمده بالقوة • وبهذا الاعتبار لم يبق هناك فرق بين هذه الحياة وبين الحياة الاخرى • فكلتاهما موت بالنسبة لمن تخلى عنه الاله فى الدنيا ، ففارقه بعدها ، وتركه فى الموت محبوسا • ولكن الأمل فى إمكان الخروج من هذه الحياة مع التخلص من قبضة الموت والتحرّر من سجنه لا يتأتى بمجهودنا الشخصي ، بل بفعل الخالق الذى ينزل إلى عالم الأموات »(2)

---

(1) اصحاح : 7

(2) — La survie après la mort : 26-27

وفى هذا المعنى يقول جبران خليل جبران وهو مسيحي :

والموت فى الأرض لابن الأرض خاتمةٌ
وللأثــيــري فهــو البــدء والظفـــرُ
فالمــوت كالبحــر ، مَن خفّت عناصــره
يجتازه ، وأخو الأثقــال ينحــدر (1)

فالموت المريع فى المسيحية : هو موت الروح والجسد معا ، موت الروح بسلب حياة الرحمة الالهية التى بها يصبح الانسان فوق الكائن الطبيعي ، وموت الجسم بخروجه عن حالته البيولوجية

فليس الموت اذن مفارقة الروح للجسد ، ولكنــه الفــراق بين الانسان والرب ، بتخلي العناية الالهية عنه جزاء ما ارتكب من شرور ، واقترف من آثام • ومن هنا يتضح الفرق فى المسيحيــة بين الأموات والأحياء ، ســواء فى هــذه الحيــاة ، أم فى الحيــاة الآخرة •

فهي تتفق مع الاسلام فى مبدا الخلود ، ولكنه يختلف عنها فى حقيقته ، وفى فكرة العدم بالموت بالنسبة الى الأشرار • فالكافر كما ورد فى القرآن يتمنى العدم حتى لا يرى ما يرى من أهوال :
« **ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا** » (2)

ولو كان فى حالة عدم حقيقة لما جاز عقلا أن يتمنــى ذلك • ومن ناحية أخرى فان هذا لا يتفق ومبدأ الجزاء يوم الدين عــن وعي كامل لِمَا ارتكب الانسان فى الدنيا من خير او شر يستحق عليهما الثواب او العقاب • قال الله تعالى :

---

(1) المواكب : 44

(2) سورة النبا : الآية الاخيرة •

« ويوم يعض الظالم على يديه يقول : يا ليتنـــي اتخذت مع الرسول سبيلا » (1)

وهذا الوعي لا يُتصور عندما يكون الانسان فى حالة عدم أو فساد بالموت ، وكيف يحس المعدوم بمصيره المؤلم وهو فى حالة فناء ؟

ويبدو أن محمد اقبال تأثر بمثل هذه الآراء التى انحدرت من المسيحية ولا شك ٠

فهو يقول فى كتابه (تجديد التفكير الدينى فى الاسلام) :

« ٠٠٠ وليست هناك أعمال تورث اللذة ، وأعمال تورث الألم، بل هناك أعمال تكتب للنفس البقـــاء ، أو تكتب لهـــا الفنـــاء ٠ فالعمل هو الذى يعد النفس للفناء ، أو يكيفها لحياة مستقبلة ٠ ومبدأ العمل الذى يكتب للنفس البقاء هو احترامي للنفس فيَّ وفي غيري من الناس »

يعني استقامة المرءوفي:نفسه في علاقته بربـــه وفى صلاتـــه بالناس ٠

ثم يقول : « وعلى هذا فالخلود لا نناله بوصفه حقا لنا ، وانما نبلغه بما نبذل من جهد شخصي ، والانسان مرشح له لا غير »

ولكن الذى قرره القرآن أن الخلود أمر حتمي للانسان ٠ إمـــا فى النعيم وإما فى الجحيم ٠ « **فأما الذين شقوا ففي النار ، لهم**

---

(1) سورة الفرقان : 27 ٠

فيها زفير وشهيق. خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك • إن ربك فعال لما يريد • وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها •• » (1)

ويقول اقبال : « على أنه لا مفر للنفس من أن تكافح كفاحا موصولا حتى توفّق الى التماسك ، والى الفوز بالبعث • فالبعث اذن ليس حادثا يأتينا من خارج ، بل هو كمال لحركة الحياة فى داخل النفس » (2)

ولعل فكرة الخلود التى يؤمن بها اقبال انما تتمثل فى اتصال الحياة واستمرار الانسان فيها ليتلقى على الدوام نورا جديدا من ربه • أمّا أبدية الجحيم فى الآخرة ، فينفيها اقبال ، ويعتبرها حقبة من الزمن لتقويم النفس وتزكيتها • لذلك لا يصح أن يُطلق عليها وصف الخلود : « وعلى هذا فالنار كما يصورها القرآن ليست هاوية من عذاب مقيم يسلطه اله منتقم ، بل هي تجربة للتقويم ، قد تجعل النفس القاسية المتحجرة تحس مرة أخرى بنفحات حية من رضوان الله ، وليست الجنة كذلك اجازة أو عطلة • فالحياة واحدة متصلة • والانسان يسير دائما قدما يتلقى على الدوام نورا جديدا من الحق غير المتناهي » (3)

وهذا الرأى فيما يبدو مخالف لما نعلمه فى القرآن من أن دار الابتلاء والاختبار والتجربة انما هي الدنيا • أما الآخرة فهي دار جزاء فقط • فكيف تكون التجربة للتقويم ؟ وقد نعود هنا الى هذه القضية فى مناسبة أخرى بأكثر تحليل •

---

(1) سورة هود : 106 ـ 107

(2) تجديد الفكر الدينى فى الاسلام : 137 ـ 138

(3) المصدر السابق : 141

البعث ووثنية العرب

ومن الغريب أن عقيدة البعث فى الجزيرة العربية لم تُعرف عند العرب قبل الاسلام إلا لدى أفراد قلائل رغم وجود بعض المسيحيين فيها • لذلك قابلوها بالانكار الشديد ، وكانت مثارا للغرابة ، ومدعاة الى الجدل مثل عقيدة التوحيد • ولعل ذلك راجع الى أن العربي مادي بطبعه، ينظر الى الأشياء نظرة واقعية، وليس لديه مجال للخيال ، فلا يسبح خياله فى عالم جديد ينتقي منه معنى جديدا ، أو فى حياة خير من حياته الحسية ، ولكن هذا لا ينفي عنه ذكاءه الحاد ، ودقة نظرته المادية الى الأشياء ، كما لا ينفي وجود بعض الأفكار حول فلسفة الحياة والموت ، والقيم الأخلاقية •

ففى القرآن ما يفيد أنه كان فى بلاد العرب ملل مختلفة ولأصحابها شيء من التفكير فيما يتصل بالبعث • فمنهم من كان لا يرى علة لوجود العالم سوى الطبع المحيي والدهر المفني • ويسمّيهم الشهرستانى : « معطلة العرب » إذ أنكرت عقولهم الخالق والبعث ، فكأنهم عطلوها ولم ينتفعوا بها ، أولئك هم الذين ينقل عنهم القرآن : « **وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر • وما لهم بذلك من علم • انْ هم إلا يظنون** » (1)

قال شداد بن الأسود الليثى فى قصيد يرثي به مشركي قريش يوم بدر ، وكان أسلم ثم ارتدّ :

---

(1) الجاثية : 24

يخبّرنـــا الرســـول بأنْ سنحيـــا   فكيف حياةُ أصداء وهامٍ ؟ (1)

وفى هذا المعنى يقول شاعر آخر :

حيـــاة ثـــم مـــوت ثـــم بعـــث   حديث خرافة يا أم عمـــرو (2)

وقالوا بلسان الحال والمقال :

« لا نبيع ذرة منقودة ، بدرة موعودة »

« خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به »

« أناس يقضون عيش النعيم ونحن نحال على الآخرة
فان لم يكن مثلما يزعمون فتلك اذن كرّة خاسرة »

آخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال :

جاء العاص بن وائل الى رســـول الله صلـــى الله عليه وسلم بعظم حائل ففتّته ، وقال فى سخرية :

يا محمد ! أيبْعث هذا بعد ما أرِم ؟ قال : نعم ! يبعث الله هذا ، ثم يميتك ثم يحييك ، ثم يُدخلك نار جهنم • فنزلت الآيات (3):

« أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين • وضرب لنـــا مثلا ونسي خلقه ، قـــال : من يحيي العظـــام وهي رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأهـــا أول مـــرة ، وهو بكـــل خلْـــق عليـــم » (4)

---

(1) الشهرستانى • الملل والنحل : ج : 433/2

(2) بطرس البستانى • دائرة المعارف : ج : 357/7

(3) السيوطى • لباب النقول فى أسباب النزول : 187

(4) سورة يس : 77 – 79 •

لقد اقتضت الحكمة الأزلية أن يُبتلى الانسان بزينة الحياة الدنيا وبالهوى ، فكان بذلك عرضة للفسوق والعصيان ، والغفلة والنسيان ، والاعراض عن الحق ، فأرسل الله اليه رسله،وأنزل كتبه،وبيّن له مواقع رضاه وغضبه،وأن النعيم لا يُدرك بالنعيم ، وأن أعظم اللذات محجوب بأنواع المكاره • فلم تقو عقول الكثيرين على ايثار الآجل المنتظر بعد فناء الدنيا على هذا العاجل الملموس ، بل إن خيالهم لم يتَّسع لتصور نشر جديد بعد ظلمة القبر وفناء الجسد ، وأننا سنموت كما ننام ، ونُبعث كما نستيقظ ،ولا سيما العرب الذين لم يكلّفوا قط بشريعة ، لوجودهم فى فترة من الرسل بين جدّهم اسماعيل ومحمد عليهما السلام ، وهى مدة تزيد على ثلاثة آلاف سنة (1)

قال الله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : « **لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك** » (2)

وبتعاقب الدهور وتأثير الوراثة تأصّلت فيهم عقيدة الشرك والوثنية ، حتى صار من العجَب أن يقال لهم : الله واحد • « **اجعل الآلهة الها واحدا • ان هذا لشيء عُجاب** » (3)

وفى الانسان من العواطف والمشاعر ما ينزع الى الابقاء على القديم •

« وروح الانسان يعوقها فى سيرها قدما قوى يظهر أنها تعمل فى الاتجاه المضاد • وما هذا إلاّ ضرب من القول بأن الحياة تتحرك ، وهي تحمل على عاتقها أثقال ماضيها » (1)

---

(1) محمد شكرى الآلوسى • بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : 109
(2) سورة القصص : 45
(3) سورة ص : 4
(4) محمد اقبال • تجديد التفكير الدينى فى الاسلام : 191

وقد أثبت علماء النفس:أن فى الانسان حياة نفسية مظلمة مؤلّفة من النزعات الخفية والأهواء القديمة ، والأحلام المكبوتة ، والعادات الموروثة • فكان لا بد للقرآن من أن يقول كلمته الفاصلة فيما كان يختلف الناس فيه ، وأن يبين الحق فيما عليه الناس من معتقدات باطلة ، وأن يجادل المخالفين فيما أراد أن يقرر من اعتقادات جديدة كعقيدة البعث ، وما يتصل بها من حقائق غيبية يترتب على معرفتها والايمان بها مصلحة عظمى للناس هي من صميم رسالة الاسلام ، إذ بها يعرف كل انسان أنه محاسب على ما يعمل من خير أو شر ، وأنه لم يخلق عبثا ، ولم يُترك سدى • وبهذا يتجه فى حياته اتجاها قويما ، ويعلم أنه اذا خالف هذا الاتجاه ، فهو معرّض لأهوال شديدة وخسران مبين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم •

ولعل من العوامل التى أدت بالوثنيين العرب الى انكار البعث واستبعاده أنه مخالف للمألوف • فما سمع الناس قط أن ميتا قام من رمسه ، بعد أن أصابه الانحلال والبلى ، وأن تفكيرهم السطحي الساذج لم يشأ أن يتصور الفائدة من البعث وحشر الناس • **« زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا • قل : بلى وربي لتبعثُن ثم لتنبؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير »** (1)

« واذا تُتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتَهم الا أن قالوا : ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين • قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (2)

---

(1) سورة التغابن : 7

(2) سورة الجاثية : 26

فى حين أن هؤلاء الجاحدين ينامون ، ويضرب الله على آذانهم فترة من الزمن يكونون فيها كالموتى ثم يبعثون • وذلك هو المعنى الذى أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه حين أمر أن يصدع بدعوة الحق بعد أن كان مستخفيا بها • فقال : « والله لتموتُن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبُن بما تعملون » (1)

وقد نهى القرآن المؤمنين عن موالاة اليهود والاسرار إليهم بما يضر نشر الدعوة الاسلامية ، لانهم يئسوا من ثواب الآخرة بتكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الحق ، وانقطع أملهم من نعيم الآخرة كما انقطع أمل الكافرين من بعث موتاهم ، لأنهم لا يؤمنون ببعث ولا نشور • قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتولّوا قوما غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » (2)

فالناس هم النّاس في كلّ زمان ومكان ، وفيهم من يعرف الحقّ ، ولكنّه يحاربه ، لسطوة شهوة ، أو استبداد نزوة !

فكيف بمن لا يخشى عقابا ولا يرجو ثوابا ؟

إنّه ليملي عليه الهوى ، ويزين له الشّيطان ، وليس له من رادع ؛ والدّين أضحت أفكاره لديه بالية ، وتقاليده عتيقة !

فما الذي يحميه من عبادة هواه ، ويصدّه عن الإثم ، وينقذه من بحار الشهوات ، ويضمن له العافية في دينه ودنياه ؟ إنّ عدوى الفساد في العقيدة والأخلاق سريعة الانتشار ، قويّة التأثير ، بالغة الخطر ، كما نرى ذلك فى هذا العصر.

---

(1) رواه البخارى

(2) سورة الممتحنة : 13

ومن لا يؤمن بالبعث والجزاء، كان أشدَّ ضراوة في الشرّ والفجور، وضلالا عن سبيل الحقِّ والهــدى.

«وقال الذين كفروا: هل ندلكم على رجل يُنَبِّئُكم إذا مُزِّقتم كلَّ ممزَّق؛ إنَّكم لفي خَلْق جديد؟ أفْتَرى على الله كَذباً أمْ به جِنَّة؟ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضَّلال البعيد. أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السّماء والأَرض؟» (1)

فقد حصروا أخبار النبيء صلى الله عليه وسلم بالبعث في أحد أمرين: الكذب والجنون.

وظلَّت هذه العقيدة عنهم غريبة، تقــابل بالاستنكــار والاستهزاء؛ فكانت عناية القرآن بالبعث والحساب، والنعيم والعذاب، ونحو ذلك من مشاهد القيامــة واضحــة.

ثمَّ إنَّ المشركين من قريش لم ينكروا المعــاد فقط، بل أنكرو المبدأ قائلين: «ومــا يهلكنا إلاَّ الدَّهر».

ويعنون بالدهر هنا: طول الزمان وتعاقب اللَّيل والنَّهار، فيسندون إليه الحوادث؛ ويجعلونه مستقلاًّ بالتأثير؛ وفي أشعارهم الكثير من شكوى الدهر. ويسمَّى هؤلاء بالدَّهريين، وهم أشبهُ اليوم بالطبيعيين الذين يعتقدون في وثن جديد، وهو الطبيعــــة:

يقــول الشهرستاني: وصنف من العرب أقرّوا بالخالق، وابتداء الخلق والإبداع، وأنكروا البعث والإعادة؛ فاستدلَّ عليهم القرآن بالنشأة الأُولى، فقال عزَّ وجلَّ: «أفعَيينا بالخلْق الأَوّل، بلْ همْ في لبْس من خلْق جديد» (2)

وليس قَولهم: «ائتوا بآبائنا» بعد موتهم بحجّة، لأَنَّه ليس كلَّ ما لا يحصل في الحال، يمتنع حصوله في الإستقبال. فكم من أحداث نشاهدها اليوم، كانت بالأَمس عند الناس مستحيلة! ومن قدر على المبدإ، قدر على المعــاد:

1) سورة سبإ: 7 ــ 9
2) سورة قٓ: 15

البعث في القرآن والحديث

لذلك استعمل القرآن فى الردّ على منكري البعث على اختلاف اتجاهاتهم ونزعاتهم شتى الوسائل والطرق ، ومختلف الأساليب والبراهين لاقناعهم بأن الساعة حق ، وأن الله يبعث مَن في القبور ، سيما وفيهم من المعاندين المفتونين باللجاجة والمراء مَن أقسموا جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، كما حكى ذلك القرآن (1)

وتقوم عقيدة البعث فى القرآن على أصول وحقائق لا بد من اعتبارها فى التصور الاسلامي الصحيح لهذه العقيدة • وهي :

1) للوجود غاية :

فالقرآن الكريم يوجه الأنظار الى أن الله لم يخلق هذا الكون باطلا ولغير هدف ، لأن ذلك يتنافى مع كماله وحكمته • **« وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين • ما خلقناهما الا بالحق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون »** (2)

كما أنه سبحانه لم يخلق الانسان عبثا وهو الذى نفخ فيه من روحه ، واستخلفه فى الأرض وفضله وكرمه ، وسخّر له ما فى السموات وما في الأرض ،

(1) سورة النحل : 38

(2) سورة الدخان : 38 ـ 39

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا تُرجعون؟» (1)

فقد بين الخالق أن ايكال الخلق الى أنفسهم دون رجــوع الى مالكهم هو ضرب من العبث تعالى الله عنهوتنزه ٠

ولكدح الإنسان جــدوى :

« وأنْ ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُـرى ، ثم يُجزاه الجزاء الأوفى » (2)

وللحياة معقولية : لأنها صدرت عن ارادة الله الحق المنزه عن العبث والفوضى ٠

« أيحسب الانسان أن يترك سدى؟» (3)

وحرية الانسان عميقة فى كيانه ، لكنها ليست حرية الفوضى الخلقية التى تنتهى دائما بتهديم الانسان ، وتمزيق علائقه مع الوجود الخارجي من حوله :

قال تعالى فى حديث قدسي : « يا عبادي انمــا هى أعمالكــم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها ٠ فمن وجد خيرا فليحمد الله عليه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه » (4)

والحق الذى خلق الله به السموات والأرض يأبى الانحــراف الفكري او النفسي او الاخلاقي ، ويتنافى مع الفلسفة الوجودية

(1) سورة المؤمنين : 115 ـ 116
(2) سورة النجم : 39 ـ 41
(3) سورة القيامة : 36
(4) رواه مسلــم

الملحدة . فليس ثمت عبث ، كما يرى كامو (Çamus) ، وليس ثمت لامعقولية للحياة والوجود كما يرى كافكا(Kafka)وليس ثمت حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كما يرى سارتر (Sartre) ،وليس ثمت تناقضات نفسية لا نهاية لها تنتهي دائما بالضياع كما يرى دستوفسكي (Dostoïewski) . ذلك أن الاسلام يستمد تجاربه الباطنية من خلال الحقيقة لا الزيف ، ومن الاستقامة لا الانحراف ، ومن المعرفة لا الضياع (1)

والوجودية بتعمقها في تجارب الانسان النفسية فكرا وأدبا وفنا وضعت يده على مآسيه في أعمق أعماقها ، في صميم الانسان ذاته . ولكن أشد ما يؤخذ عليها أنها وقفت عند هذا الحد . وأكثر من ذلك ، أنها راحت تجسّد مآسي الإنسان ويأسه وعذابه، وكأنها (قيم) ثابتة في نواميس الكون ، كُتب عليه أن يعانيها ، وأن يتحمل أعباءها مرغما ، كما تحمل « سيزيف » من قبل حمل الصخرة الى قمة الجبل لتنهار دائما . فيبدأ حملها من جديد . ومن ثم راحت ــ هذه الوجودية ــ تعلن حملاتها الوهمية ضد القوى التي ظلمت الانسان بعبث الوجود ولا جدوى الحياة ، بقلقها ولا معقوليتها . وما هو ــ في الحقيقة ــ عبث القدر والطبيعة . وانما هو عبث الطواغيت الذين فرضوا على الانسان مبادئهم المتهافتة ، وعبث الانسان نفسه الذى خرج عن طريق الله الواحد،واستنام على المأساة (2)

وارتباط الوجود الانساني بمصيره هو النقطة التي تفترق فيها الطرق بين الناس ، لا في نظرتهم الى الحياة وفلسفتهم فيها

(1) عماد الدين خليل . في النقد الاسلامى المعاصر : 42 .

(2) الانسان روح لا جسد: 2 / 263 ــ 344

فحسب ، بل فى أخلاقهم ، ونمط سلوكهم ومدى ايمانهم ٠ فالايمان بمصير الانسان بعد الموت يجعل لحياته غاية سامية وهدفا اعلى ٠ وهذه الغاية هى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ٠ ولا يرغب فى الخير ويصد عن الشر مثل الوازع النفسى الذى يقوى بالتذكير ، والتفنن فى التصوير ، وضرب الأمثال ، حتى لا يضل الانسان عن الحق ، أو تتعثر به الخطى فى طريقه ، وذلك هو منهج القرآن ٠

وكم فى القرآن الكريم من آيات تقيم الأدلة والبراهين على أن الكون ليس مهملا كما يزعم ملاحدة الوجوديين ، بل وراءه عقل قام بخلقه ويقوم بتدبيره ٠ انه لا يمكن أن يتصور العقل نظاما معقّدا كنظام الكون بدون منظم ، أو يتصور وجود نظام وروح فى عملية مادية عمياء حدثت اتفاقا ولغير هدف ٠

فالكون متوازن ومتناسب الى حد لا يمكن تصوره ٠ ورغم وجود هذه الحقيقة الصارخة ، فان أصحاب النزعات المادية من وجوديين وإباحيين وماركسيين يبنون مذاهبهم الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية على أن الانسان نبات أرضى لا رب له ، ولا حساب ينتظره (I)٠انما الحياة فى نظرهم احساس عارض يبقى فى كتلة من اللحم والعظم لبضع سنين ، ثم يتلاشى الى الأبد ٠

قال عالم الطبيعة الامريكى (جورج ايرل ديفيس J. Davis): لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه ، فان معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق ، وفى هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو

(I) محمد الغزالى ٠ ركائز الايمان بين العقل والقلب : 87

الاله • وهكذا ننتهي الى التسليم بوجود « الاله » ، ولكن إلهنا سوف يكون عجيبا ، الها غيبيا وماديا فى آن واحد ! انني أفضل أن أومن بذلك الاله الذى خلق العالم المادي ، وهو ليس بجزء من هذا الكون ، بل هو حاكمه ومديره ومدبره بدلا من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات (1)

ان الفكر العلماني لا يستطيع الرد على أخطاء الفلسفة الوجودية اذا كان هو ذاته يقع فى تلك الأخطاء نفسها ، مثل : الازدواج الداخلي فى كيان الانسان ، والشك فى البعث والخلود •

أما منهج القرآن فى هذه الفكرة ، فمبناه أن الله خلق الخلق بالحق • ومعنى ذلك : أن مالا غاية له ، وما لا هدف من ورائه لا يكون حقا ، وانما يكون لهوا وعبثا • فلا تتحقق الحكمة الا حيث يكون الخلق ابتلاء واختبارا يعقبه بعث للحساب والجزاء « **هو الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** »(2)

تأمل قوله تعالى : « **ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** » (3)

فستلاحظ أن اللام الاولى (ولله) تفيد معنى الملكية ، وأن اللام الثانية (ليجزى) تفيد معنى التعليل او الغائية •

---

(1) The Evidence - of God. P. 71

(2) سورة الملك : 3

(3) سورة النجم : 31

فارتباط الملكية بالجزاء ، وربط هذه الغاية بكون العالم مملوكا لله وحده ينبني عن فكرة الرد على الذين ينكرون الألوهية ، ويرفضون عقيدة البعث ، ويريدون أن يعيشوا مبتورين عن الأصل الذى انبثقوا منه ، مخْلِدين الى الأرض التى درجوا عليها ، غير مفكرين فى آخرة ، ولا فى ثواب أو عقاب .

فالايمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول ، والايمان بالبعث يحقق المعرفة بالمصير الذى ينتهي اليه هذا الوجود . وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للانسان أن يحدد هدفه ، ويرسم غايته ، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله الى الهدف ويبلغ به الغاية .

ومتى فقد الانسان هذه المعرفة ، فان حياته سوف تبقى بلا هدف ولا غاية . وحينئذ يفقد الانسان سموه الروحى ، ويعيش كما تعيش الأنعام،تسيّرها غرائزها .

وهذا هو الانحطاط الروحي المدمر لشخصية الانسان ، والمنافي للحكمة الالهية العليا من هذا الوجود .

ولعل من أفصح ما يعبر عن هذه الحقيقة ما جاء على لسان حكيم:

ولو كان لا يُجزى مسيىء بفعله
ولا محسن ضاعت أمور البريةِ

وما كان فى الاحياء والموت حكمة
وكان محالا حكم كل شريعة

آيحسن أن تُبنى قصور مشيدة
بأحسن أوضاع وأجمل بنية ؟

وتهدم عدما لا لمعنى ، وإنه
ليقبح هذا فى العقول السليمة

وذلك شيء فعله عبث وما
يدبَّر هذا الكون بالعبثية

فلم يبق الا أن يدبِّر أمره
حليم محيط العلم عدل الحكومة (1)

2) للعالم نهاية :

ومن المسلمات التى لا بد من اعتبارها فى عقيدة البعث الاسلامية فناء هذه الدنيا ، وانتفاء أزلية هذا العالم ، ذلك أن بعض الفلاسفة القدماء ممن لم يساعدهم العلم فى عصرهم على معرفة بعض الحقائق ، ذهبوا الى ان العالم سيبقى على صورته الحالية دون فناء أو زوال • وحجتهم فى ذلك أن الشمس ــ رغم عمرها المديد ــ لم يطرأ عليها أى نقص او ذبول • ولكن العلم الحديث أفاد أنه حدثت عدة انفجارات على سطح الشمس وفى مساحات كبيرة • ومعنى ذلك أن فى جرمها تآكلا •

ويؤكد علماء الفلك أنه لا بد وطبقا لقانون دوران الأجرام السماوية أن يقترب القمر من الأرض حتى ينشق من شدة الجاذبية،أو يتمدد سطح الشمس الخارجي الى القمر فتختل المجموعة الشمسية كلها •

---

(1) أبو بكر عبد الرازق ــ • النفحات الغزالية : 210 •

قال الله تعالى : « **فاذا برق البصر ، وخسف القمر ، وجُمع الشمس والقمر، يقول الانسان يومئذ : أين المفر ؟** » (1)

ثم ان قانون الديناميكية الحرارية يثبت أن الحرارة ليست دائمة الى الأبد وأن يوم انتهائها سيأتى حتما ، والكون يتجه الى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام، وينضب فيها معين الطاقة . ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيميائية أو طبيعية ، وذلك بحكم الانتقال الحراري المستمر من الأجسام الحارة الى الأجسام الباردة ، ولا يمكن ان يحدث العكس بقوة ذاتية ، بحيث تعود الحرارة وترتد من الأجسام الباردة الى الأجسام الحارة، وعندئذ تقف حركة الحياة ويموت الأحياء (2)

ثم ان الزلازل تجتاح من حين لآخر المدن والأقطار ، فتبيد عشرات الآلاف من البشر ، وتنبئنا عن قيامة كبرى سوف تفاجىء البشرية على غرة منهم ، وتقيم لنا دليلا ناطقا على أن خالق الأرض قادر على تدميرها . قال تعالى : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم . ان زلزلة الساعة شيء عظيم** » (3)

ومن ناحية أخرى فان الكون فضاء لا حدود له تدور فيه نيران هائلة لا حصر لها، وهى السيارات والنجوم . ومثالها كملايين الخذاريف التى تدور على سطح معين بأقصى سرعة يمكن تخيلها. وهذا الدوران يمكن أن يتحول فى يوم ما الى صدام عظيم لا يمكن تصوره . فدراسة علم الفلك تؤكد إمكان اصطدام الأجرام

(1) سورة القيامة : 7 — 10

(2) انظر : المعاد : لمحمد حسن آل ياسين : 50 — 53

(3) سورة الحج : 1 — 4 .

السماوية ، وتثبت أن الغريب حقا هو عدم توقع هذا الصدام • هذا الواقع هو بعينه ما تسميه (القيامة) (1)

قال تعالى : « **اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت** » (2)

بهذا يكون فناء العالم او انعدام الحياة ممكنا كل الامكان ، بل محتما وقطعيا فى المفهوم العلمي المعاصر •

ان هذه الساعة لا مفر منها ، بل ستأتي حينما تبلغ الأرض زينتها وزخرفها ويظن الانسان ـ غرورا ـ أنه قادر على كل شيء ، بما يملك من زمام الأمور ، وبما بلغه من علوم :

« **انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ، حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تَغنَ بالامس** » (3)

ولما كان المعاد هو عودة الحياة الى كل الناس بعد الموت لغرض الحساب والمحاكمة ، ثم الثواب أو العقاب بحسب نتائج هذه المحاكمة ، فانه لا بد أن يسبقه فناء العالم ، فيموت كل من فيه من الأحياء وتبدل الأرض والسموات ، ثم ينشىء الله النشأة الآخرة • وبذلك يبدأ اليوم الآخر :

---

(1) انظر : الاسلام يتحدى • لوحيد الدين خان : 82 ـ 83 •

(2) سورة الانفطار : 1 ـ 5

(3) سورة يونس : 24

« يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسمــوات ، وبــرزوا لله الواحد القهار » (1)

3) المـوت انتقـال لا فنـاء :

مفهوم الموت فى العقيدة الاسلامية انتقال من عالم الى عالم لا يقل فيه ادراك المرء لحقائق الوجود ، ولا ينقص احساسه بهــا ، بل قد يتبلور ويزداد • فالموت ليس فناء ولا شبه فناء ، بل هو كنومة طويلة •

كما ان النوم الذى نعرفه وفاة قصيرة • وقد جعــل القــرآن النوم قسيما للموت ، وجعل الحالتين أعراضا للنفــس لا تتأثــر الروح بها ، فقال جل ثناؤه : **« الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليهــا المــوت ، ويرسل الأخرى الى أجل مسمى • ان فى ذلــك لآيــات لقــوم يتفكرون »** (2)

وقال تعالى : **« وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم مــا جرحتــم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجل مسمى ، ثم اليه مرجعكم ثــم ينبئكم بما كنتم تعملون »** (3)

ويقرب من هذا المعنى قول المعري :

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد •

بل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الحيــاة منامــا ،

---

(1) سورة ابراهيم : 48
(2) سورة الزمر : 42
(3) سورة الانعام : 60

والموت يقظة فقال : « الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا »(1)،وذلك لأن الحقيقة تنكشف عند الموت .

وفى المعنى قال الشاعر :

فالعيش نوم والمنيــة يقظــة والمــرء بينهما خيــال ســارى

فالموت بهذا الاعتبار طور من أطوار الحي كالطفولة والشيخوخة إلا أن هذا الطور يمتاز بأن الروح فيه أقوى إدراكــا وأصــدق حســا (2)

وفى التصور الاسلامي شبّهوا الموت برجل نام ، فرأى فى منامه ما يحب أو ما يكره ، فبينما هو كذلك انتبه .

ومثلوا الدنيا بالمنام ، والعيش فيها بالحلم ، والموت باليقظة ، كما مثلوها بمزرعة،والعمل فيها بالبذر ، والحصاد بالمعاد .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو أن الدنيا من أولها الى آخرها أوتيها رجل،ثم جاءه الموت لكان بمنزلة من رأى فى منامه ما يسرّه ، ثم استيقظ فاذا ليس فى يده شيء (3)

ولكن ليست حياة الأبرار وموتهم كحياة الفجار وموتهم :

« أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » (4)

---

(1) رواه أحمد

(2) انظر عقيدة المسلم . لمحمد الغزالى : 185

(3) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين : ج : 93/3

(4) سورة الجاثية : 21

ليس الموت ختاما لمعنى الحياة ، وابتداء لحالة أخرى لا شعور فيها ولا إحساس معها ، ينال الانسان فيها ما ينال الدواب تحت أكوام التراب ، وانما هو فى العقيدة الاسلامية مرحلة نتحول عندها • وهذا التحول لا ينتقص شيئا من مقومات الشخصية الانسانية،كما ان الانسان على الارض هو هو الانسان فى طور انعدام الوزن الذى سجّله رواد الفضاء أخيرا (1)

ولعلّ من أبلغ الشعراء الذين عبروا عن حقيقة الموت فى التصور الاسلامي أبا العلاء المعرى حين قال :

خُلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار أعمال الى دار شقوةأورشاد

وعباس محمود العقاد حين قال :

أُرانـي على الحالين روحا وبنية
أحس بأن الموت ليس بمُفقدي

فان كنت ذا جسم ذوى قبل مصرعي
وان كنت ذا روح ، فروحي مخلّدي (2)

ولكن الماديين الذين يؤمنون بجسد لا روح معه ، ودنيا لا آخرة بعدها هم مبتورو الحس ، مشوّهو البصيرة ، وفكرتهم عن الحياة تهوي بقيمة البشر الى الحضيض •

أكلٌ شهي ، ولباس فخم ، وقصر شاهق ، وليال فى السمر والمرح واللهو ، ثم يختم الكيان الانساني كله بما فيه من ذكاء

(1) انظر ركائز الايمان • لمحمد الغزالى : 73 — 75 •

(2) بعد الاعاصير : 23

وطموح فى حفرة مظلمة هي نهايته الأخيرة،لا يفترق عن أي دابة • ألا ما أهون الوجود وأخسه لو كان محكوما بهذا الاطار الوضيع ! كما قال الرافعى :

ولو لم يكن الا الوجود وشأنه
لهانت شؤون عندنا وشؤون
ولكنها الروح ، تداولت الورى
ولم يدن منها للظنون يقين (1)

أو كما قال علي محمود طه :

أيصبح الانسان هذا الرميم
والجيفة الملقاة نهب التراب ؟
أيستحيل الكون هذا الهشيم
والظلمة الجاثم فيها الخراب ؟ (2)

ان الفجيعة الكبرى يوم يودّع الحياةَ الجاحدون للقاء ربهم،فاذا هم بعد الموت يعرفون كل شيء ، ويدركون أنهم كانوا في ضلال بعيد :

« وبدا لهم سيئات ما عملوا ، وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزئون • وقيل : اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ، ومأواكم النار وما لكم من ناصرين » (3)

(1) ديوان الرافعى : 33
(2) الملاح التائه : 92
(3) سورة الجاثية : 33 — 34 •

ولو تصور الذين يقدمون على الانتحار أي حياة يصيرون اليها لفكروا طويلا قبل اقدامهم على هذا الجرم الفظيع ؟ انهم يريدون أن يفروا من الشعور بالضيق ، ومن مواجهة النتائج المحزنة الى عالم يحسبونه فناء خاليا من الشعور ، ومن رؤية العواقب الأليمة ، وما درَوا أن قوام العالم الجديد الذى يقتحمون أسواره هو الاحساس المضاعف ، والادراك العميق ، والنظر الحاد ، ومجابهة النتائج وجها لوجه ٠

« لقد كنتَ في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرُك اليوم حديد » (1)

روى أنس بن مالك عن أبى طلحة أن النبىء صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فى قليب بدر،وجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا فلان بن فلان ، يا فلان بن فلان ! أيسرّكم أنكم أطعتم الله ورسوله ٠ فإنّا قد وجدنا ما وعدَنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فقال عمر : يا رسول الله ! ما تكلِّم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » (2)

وكان لهذه العقيدة التى غرسها الاسلام فى قلوب أتباعه عن الموت صداها البعيد،باعتبار أن ما يعرو الجسد من فساد لأجهزته، لا يؤثر فى حقيقة الروح،ولا فى كيان الانسان المعنوي ٠

---

(1) سورة ق : 22

(2) رواه البخارى ٠

ولعل هذه الأبيات التى تنسب الى السهروردى تعكس هذا الشعور الاسلامى حول الموت ومفهومه :

قل لأصحاب رأوني ميتا فبكوني اذ رأوني حزنا
لا تظنوني بأني ميت ليس هذا الميّت والله أنا
أنا عصفور وهذا قفصي طرت عنه ، فتخلى رهنا
فاخلعوا الأنفس عن أجسادها فترون الحق حقا بيّنا
لا ترعكم سكرة الموت فما هي الا بانتقال من هنا

واذا كان الموت رحلة من عالم الى آخر فليس بالأمر الهين على الانسان • اذ المسافة بين طبيعة الموت وطبيعة الحياة مسافة هائلة تدير الرؤوس ، فللموت سكرات وفيه أهوال • فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا الموت ، فان هول المطلع شديد ، وان من السعادة ان يطول عمر العبد ويرزقه الله الانابة » (1)

وليس بالأمر اليسير الهين أن يجابه المرء مصيره الأبدي فى لحظة حاسمة،فيعرف قبل ان يفارق الحياة مقعده من الجنة أم من النار كما ورد فى الحديث •

ولقد عجبت مما كتب بعضهم عن الموت تحت عنوان : (لا موت ولا موتى ، ولكن حياة وأحياء) عجبت من حديثه فى هذا المقال حديثَ الواثق المستيقن ، وكأنه يعتمد فى ذلك نصوصا لا مجال للشك فى صحتها والطعن فيها ، أو كأنه يعتمد تجربة عرفها ومارسها ! فهو يقول :

---

(1) رواه أحمد

« يخشى الناس الموت ، ويفرون من ذكره وممن يذكره • فإن أُكرهوا على أن يسمعوا حديثا عنه انقبضوا وغشيتهم الرهبة والقلق • وهم لو علموا حقيقتين عنه ما فعلوا هذا :

أوّلاهما : أن لحظة خروج الروح من الجسد وانتقالها من عالمها الأول الى عالمها الثانى لحظة هينة رقيقة يسيرة لا عسر فيها ولا مشقة » ان هذا قد يكون ، ولكن ليس دائما • والقرآن فى كل الأحوال لم يهوّن من شأن الموت ، بل عبر عنِ لحظة الفزع بسكرة الموت • قال تعالى :

« **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنتَ منه تحيد** » (1)

روى البخارى وغيره عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض موته كان بين يديه ركوة بها ماء • فجعل يُدخل يده فيها ويمسح بها وجهه ويقول : « لا اله الا الله • ان للموت سكرات » وكانت عائشة تقول : ما أغبط أحدا يهون موته بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فكيف حالة الكفار والعصاة عند النزع ؟ لا شك أن نُذر العقاب تواجه الفساق والظّلمة فى تلك الساعة الحرجة • فها هو القرآن يصور لنا هذا المشهد المفزع الرهيب ! الظالمون فى غمرات الموت • ولفظ « غمرات » يلقي ظله المكروب • والملائكة لا يمهلونهم ولا يدعونهم فى هذه الغمرات.فهم يزعجونهم بطلب أرواحهم • « أخرجوا أنفسَكم » وآجالهم لا تستأخر ولا تستقدم

---

(1) سورة ق : 19

ولكن هذا الازعاج من الملائكة في صورة الأيدي المبسوطة التي تستعجل تسلّم الروح ، لتسليمها الى ما ينتظرها من عذاب (1) يُلقي ظلاله الكئيبة • قال تعالى :

« ولو ترى اذ الظالمون في غمَرات الموت،والملائكة باسطو أيديهم ، أخرجوا أنفسكم • اليوم تجزَون عذاب الهُون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن آياته تستكبرون • ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم • وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء • لقد تقطّع بينكم ، وضل عنكم ما كنتم تزعمون » (2)

وكذلك يكون إخراج الذين ظلموا أنفسهم في ساعة النزع • وما ظلمُهم أنفسهم الا أنهم استكانوا للظلم يسلّط عليهم • إنهم مع عجزهم عن دفعه آثروا احتمال الهوان في أرضهم على الهجرة الى مكان آخر يصونون فيه كرامتهم ودينهم وعزتهم • فهؤلاء تسألهم الملائكة في تلك الساعة الحرجة ، فيعتذرون بأعذار لا تُقبل . فما أسوء حالهم وهم يعانون ألم النفس وألم الجسد !

« ان الذين تَوفَّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض • قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » (3)

---

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن • ج 7/88

(2) سورة الأنعام : 93 – 94

(3) سورة النساء : 97

فانظر هؤلاء المأخوذين كيف يكون حالهم من الخجل والحياء والتحسر والندم والخوف من الله أن يلقوه بصحائف سود،وقد انكشف لهم بالموت ما لم يكن منكشفا لهم فى الحياة لزوال العوائق والشواغل • (فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا ، المطمئن اليها عند موته ، نعوذ بالله منه ، فان الخزي والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل،بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما • فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها أولوا البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين،وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة) (1)

ثم يستمر صاحب المقال فى التهوين من أمر الموت فيقول عن الحقيقة الثانية :

« وثانيتهما : أن الحياة السماوية الثانية حياة مليئة بصنوف من رحمة الله • وكريم عطائه مما يجعلها أحب إلى الانسان من حياته الأرضية الأولى »

ولكن لا يصح أن يحمل هذا على إطلاقه فيشمل كل أصناف الخلق دون ميز بين مؤمن وكافر ، وبَر وفاجر ، ومطيع وعاص • ألم يستعذ رسول الله صلى الله عليه فيما استعاذ من فتنة الممات ؟ ألم يَرد فى القرآن على لسان الكافرين ؟ :

(حتى اذا جاء أحدهم الموت قال : رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركتُ) (2)

---

(1) أبو حامد الغزالى : احياء علوم الدين • ج • 518/4
(2) سورة « المؤمنون » : 99

« ـ روي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه • فقلت : يا نبي الله ! أكراهية الموت ؟ فكلّنا يكره الموت • قال : ليس ذلك ، ولكن المؤمن اذا بُشّر برحمة الله ورضوانه وجنته،أحب لقاء الله فأحب لقاءه ، وان الكافر اذا بشّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه) (1)

واذن فليس الخوف من الموت مجرد وَهم كما يقول صاحب المقال :

« والوهم الذى ساد الناس ضد الموت نسج خيوطه الخيالُ على مر العصور ، وجسّمه الخوف من المجهول القادم • وكل مجهول رهيب • على أن كثيرين من الناس حضروا وفاة أقاربهم ، فلم يروا شيئا من ذلك العسر المزعوم ، بل رأوهم يغمضون أعينهم غمضتها الأخيرة فى هدوء وراحة وسكينة ، بل ربما تم ذلك خلال بسمات تعلو شفاههم ، واشراقة تفيض على وجوههم •

والذين يعانون شيئا من الألم عند الموت هم الذين تجيئهم آجالهم وهم مرضى • فما يصادفهم من عناء ، فانما مردُّه المرض وظروفه وتقلباته • وكل ذلك يضع له الموت حدا اذا كان المرض قاصرا على البدن ولم تتأثر به الروح •

وهناك من الناس من يتفادون ذلك بحقنة من الحقن المسكنة أو المخدرة،يعطيها لهم الطبيب بعد اليأس التام من الشفاء عند دنوّ

---

(1) رواه البخارى ومسلم •

الموت ، فيموتون ولا يشعرون • يموتون كما يموت غير المريض اذا حانت ساعته ، فى غير احساس بألم ما ، كأنهم يسّبحــون فى حلم ممتع • وسوف يجييء وقت ينتشر فيه تنــاول الحقــن التى تتناولها اليوم خاصةٌ من البشر أو خــاصة من خاصّتهــم تحــت إشراف أطبائهم ، وبعلمهم أو علم أهليهم ورغبتهم » (1)

ويبدو لي هنا أن الكاتب وهو يلحّ على تعميم الاستعمال لهذه الحقن هو فى أشد الخوف من الموت ، وان كان يتظاهر بخلاف ذلك. ولعله كان متأثرا بما تقوله الروحية الحديثة التى نَقل عنها فى موضع آخر مـــن الكتاب ما يلي :

« وتقول : ان الخوف من الموت سوف يتنــاقص ويتلاشــى من الناس عند انتشار الحقائق عنه ، وذيوع الثقافة الروحية ، وهي نعمة على البشرية ، ورحمة الهية » (2)

4) القبر أول منازل الآخرة :

صحَّ فى الخبر أن القبر أول منزلة من منازل الآخرة.فان نجا منه صاحبه ، فما بعدَه أيسر منه • وان لم ينج منه فما بعده أشد •

فقد يكون روضة من رياض الجنة ، وقد يكون حفرة من حفر النار كما ورد فى الحديث • وليست العبرة بظاهر القبر،وان كان فى اطار جميل من الرياحين والزهور ، بل العبــرة بباطنــه • فظواهر القبور تراب ، وبواطنها إما حسرات وعذاب ، أو نعيم وثــواب •

(1) محمد شاهين حمزة : مع الفكر الاسلامى فى قضاياه : 29 ـ 30
(2) المصدر السابق : 147

أخرج الديلمي فى الفردوس عن علي رضى الله عنه مرفوعا :
« أولُ عدل الآخرة القبورُ ، فلا يُعرف شريف من وضيع »

ولما مات أبو سلمة دخل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال : « اللهم اغفر لأبى سلمة ، وافسح له فى قبره ، ونوِّر له فيه » (1) وإذنْ فالقبر يضيق ويتسع ، ويظلم وينور بحسب مكانة صاحبه عند الله ، وما كان له من عمل فى الحياة الدنيا . وسؤال الميت فى القبر لم يرد عنه نص صريح فى كتاب الله ، ولكن ورد فى كثير من الأحاديث الصحيحة ما يؤكد ذلك ، وما يفيد ان الميت قد يُفتن فى قبره . وكان النبىء صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن ميت وقف عليه وقال : استغفروا لأخيكم وسَلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل » (2).وأخرج البخاري عن حديث البراء بن عازب أن النبىء صلى الله عليه وسلم قال : إن هذه الآية :
« **يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت** » (3) نزلت فى عذاب القبر .

وقال ابن مسعود فى تفسيره لقوله تعالى : « **ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنْكا ونحشره يوم القيامة أعمى** » (4)
المعيشة الضنْك : هي عذاب القبر

---

(1) رواه البخارى
(2) رواه مسلم .
(3) سوره ابراهيم : 27
(4) سوره طه : 124

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قـالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر • قال : نعم ! عذاب القبر حق • أي لمن يستحق عذابه • كالجبارين والمتكبرين والنمامين وأعوان الظلمة ، ومن يشتغلون بعيـوب النـاس عن عيوبهم ، والذين يصدّقون الكهنة والمنجميـن والعرافيـن (1)

وهذا دليل واضح على أن الانسان لا ينتهي بمفارقة الحيـاة • وآن احساسه الروحي لا يُعدمه الموت •

روي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أتُردّ علينا عقولنا يا رسول الله ؟ قال : نعم كهيئتكم اليومَ (2)

وعن أنس بن مالك قال : قال نبىء الله صلى الله عليه وسلم : ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، انه ليسمع قرع نعالهم (3)

ومن وصية عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة :

•• فاذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار • فاذا دفنتمونـي فشنوا علي التراب شنا ، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسـل ربي (4)

---

(1) انظر مختصر لوامع الأنوار البهية • لمحمد بن سلوم : 312

(2) أخرجه أحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه

(3) رواه مسلـم

(4) أخرجه مسلم

وفيه اثبات فتنة القبر ووحشته ، وسؤال الملكين ، واستحباب المكث عند القبر بعد الدفن لحظة •

ومن يأمنون فتنة القبر المرابطون في سبيل الله •

قال صلى الله عليه وسلم من حديث فضالة بن عبيد :

« كل ميت يُختم على عمله الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله ، فانه يجري عليه عمله الى يوم القيامة ، ويأمن من فتنة القبر » (1)

ومن الأحاديث الصحيحية الواردة فى ابتلاء القبر وعذابه ما رواه زيد بن ثابت رضى الله عنه ، قال : بينما النبىء صلى الله عليه وسلم فى حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه ، اذ حادت به فكادت تلقيه • واذا أقبر ستة أو خمسة • فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل : أنا • قال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الاشراك • فقال صلى الله عليه وسلم : ان هذه الأمة تُبتلى فى قبورها • فلولا أن لا تَدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه • ثم أقبل علينا بوجهه فقال • تعوَّذوا بالله من عذاب القبر • فقلنا : نعوذ بالله من عذاب القبر • (2)

فالحالة التى يحيا عليها الانسان من الطاعة او المعصية ، والايمان أو الكفر هى التى يموت عليها • وهي التي عليها يُبعث •

---

(1) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح •

(2) رواه مسلم

روي عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : من فارق الدنيا وهو سكران ، دخل القبر وهو سكران ، وبُعث من قبره سكران (1)

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل انسان يُسأل بعد موته • قُبر أو لم يقبر ، فلو أغرق فى البحر وأكله الحوت ، أو أحرق حتى صار رمادا ، أو أكلته السباع لسئل عن أعماله ، وناله النعيم أو العذاب ، لأن الروح لا تفنى ، بل تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة • والأدلة تتضافر على أن قبل الحساب مقدمات تطفح بالبشرى أو بالانذار •

ففى الحديث : إن أحدكم اذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة • وان كان من أهل النار فمن أهل النار • فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة (2)

ومما يؤيد هذا الحديث قوله تعالى فى آل فرعون :

« النار يُعرضون عليها غدوّا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخِلوا آل فرعون أشد العذاب » (3)

قال القرطبى عند تفسيره لهذه الآية :

« هذه الآية تدل على عذاب القبر فى الدنيا • ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة : ويوم تقوم الساعة •••

---

(1) أخرجه أبو يعلى فى مسنده

(2) رواه مسلم

(3) سورة غافر : 46 •

(4) الجامع لأحكام القرآن • ج : 15/

وفي الحديث عن ابن مسعود : « أن أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي ، فيقال : هذه داركم » (1).ولا يخفى ما في مشاهدة الانسان لهول مصيره المنتظر من حسرة وأسى • فالعذاب حاصل لا محالة سواء أكان ماديا أم معنويا ، وسواء أكان مكانه اللحد حيث الجسد ، أم البرزخ حيث الروح فقط ، وكذلك النعيم • وبعضهم يرى أن المقصود من القبر هنا ليس تلك الحفرة التى وضعت فيها الجثة . ولكنه عالم البرزخ،أين يكون النعيم أو العذاب المؤقت الى أن تقوم الساعة •

5) البرزخ مستقر الأرواح قبل البعث :

قال الجوهري : البرزخ : الحاجز بين الشيئين • وهو هنا : الحاجز ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث • فمن مات فقد دخل البرزخ ، ومابين الموت والبعث : فإما راحة متصلة، وإما آلام وآفات غير منفصلة » (1)

قال رجل بحضرة الشعبي : رحم الله فلانا فقد صار من اهل الآخرة ! فقال : لم يصر من أهل الآخرة ، ولكنه صار من أهل البرزخ ، وليس هو من الدنيا ولا من الآخرة (2)

قال تعالى : « **حتى اذا جاء أحدهم الموت قال : رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت • كلا ! انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون** » (3)

---

(1) القشيرى : لطائف الاشارات • م : 244/4 •
(2) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن • ج : 150/12 •
(3) سورة المؤمنون : 100

ولكن ما يفيد الاعتراف بالحق فى يوم لا ينفع فيه الاقرار ، ولا يقبل الاعتذار ؟ كما قال أحد الحكماء :

قلت للنفس إن أردتِ رجوعا
فارجعي قبل أن يُسدّ الطريق

أو كما قال آخر :

واعمل لدار أنت جاعلها
دار المقامة آخر الأمد

يا نفس موردك الصراط غدا
فتأهبي من قبل أن تردي

والأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ تفاوتا كبيرا بحسب منازلها ومكانتها عند الله .

فمنها أرواح فى عليين فى الملا الأعلى،وهى أرواح الأنبياء.

وهم متفاوتون فى منازلهم،كما رآهم النبىء صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج.

ومنهم من يكون محبوسا فى قبره كحديث صاحب الشملة التى غلّها (سرقها من الغنيمة قبل القسمة) ثم استشهد . فقال الناس : هنيئا له الجنة . فقال النبىء صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسي بيده ان الشملة التى غلّها لتشتعل عليه نارا فى قبره » (1)

---

(1) رواه البخارى

ومنهم من يكون محبوسا فى الأرض لم تعلُ روحه الى الملأ الاعلى ، لأنها كانت روحا سفلية أرضية • كما أن الأرواح العلوية التى كانت فى الدنيا مبرءة من كل ما يكدر صفاءها ونقاءها ، ومن كل من يدنّس طهرها وجمالها ، عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب اليه والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح المناسبة لها • وهكذا فان الأرواح تلحق بأشكالها وأخدانها وأصحاب عملها •

قال تعالى : « **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا** » (1)

وليس للأرواح مستقر واحد سواء الشقي منها أو السعيد • لذلك قسمها علماء السنة فى البرزخ الى مرسلة ومحبوسة ، وعلوية وسفلية • ولها بعد المفارقة صحة ومرض ، ولذة وألم ، ونعيم وعذاب أعظم مما كان لها وهي متصلة بالبدن • لأن البرزخ حالة من أعمال الانسان الدنيوية ، فالأرواح المعذبة فى شغل شاغل لها،بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي • وأما الأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة،فهى تتلاقى وتتعارف وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا ، وما يكون من أهل الدنيا،كما ورد ذلك فى السنة الصحيحة (2)

روى ابن أبى الدنيا قال : لما مات بشر بن البراء وجدَتْ عليه أم بشر وجدا شديدا فقالت : يا رسول الله ! انه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة • فهل يتعارف الموتى ، فأرسلَ الى بشر

(1) سورة النساء : 69

(2) انظر : مختصر لوامع الأنوار البهية : 324 ـ 325 •

السلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعـم ! والذي نفسي بيده يا أم بشر • انهم ليتعارفون ••• الحديث (1)

وعن عبيد بن عمير قال : أهل القبور يتوكفون الأخبار • فاذا أتاهم الميت قالوا : ما فعل فلان ؟ فيقول صالح • ما فعل فـلان ؟ فيقول : ألم يأتكم ؟ أمَا قدم عليكم ؟ • فيقولون : لا • فيقول : انا لله وانا اليه راجعون • سُلك به غير سبيلنا »

ويؤيده الحديث الذى رواه أبو أيوب الأنصاري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان نفس المؤمـن اذا قُبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله،كما يتلقى البشيـر في الدنيا • فيقال : أنظِروا أخاكم حتى يستريح • فانه كـان في كرب شديد • فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فـلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ • الحديث ••• » (2)

وقال : « ان أعمالكم تَرِد على أقاربكم وعشائركـم من أهـل الآخرة،فان كان خيرا فرحوا واستبشروا »

ولذلك قال أبو الدرداء : اللهم انى أعوذ بك أن أعمل عمـلا أُخزى به عند خالي عبد الله بن رواحة ، وكان قد مات قبله (3)

قال ابن أبى حاتم فى تفسيره لقوله تعالى : « **اللـهُ يتوفـى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت فى منامها** » يتوفاها الله ــ أي الأرواح ــ فى منامهـا،فتلتقـي روح الحـي وروح الميـت ، فيتذاكران ••• الى أن قال : والدليل على تلاقي أرواحهـم أن الحي يرى الميت فى منامه فيخبره الميت بما لا يعرفه •

---

(1) اخرجه من حبان

(2) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الأوسط •

(3) احياء علوم الدين :: 531/4 •

والحق أن مثل هذه القضايا الغيبية لا مجال فيها للاجتهاد ، وإعمال الرأى دون سند من القرآن أو السنة • فلا يصح أن يكون طريق العلم بها غير السمع الوارد بالوحي. وكل ما سواه مردود فى هذا المجال •

وأذكر على سبيل المثال ما ورد فى مقال للكاتب محمد شاهين حمزة • حول عالم الروح •

يقول الكاتب :

« فماذا فى الحياة الثانية،أو فيما نسميه عالم الروح أو عالم البرزخ ؟ انه عالم فسيح يملأ السماوات ، نسبته الى عالمنا الأرضى كنسبة هذا العالم الأرضي الى رحم الأم،حيث قضى الجنين المرحلة السابقة من حياته،حتى خرج الى الدنيا •

وعالم كهذا رحيب لا يمكن وصفه ، ولا يوجد من يصفه • حسبُنا كلمات تلقي قليلا من الأضواء ربما كانت كافية للانجذاب الى مباهج العالم القادم »

والى هنا لا شيء يسترعي الاهتمام أو يدعو الى الملاحظة لبيان حقيقة أو اصلاح خطإ •

إنما الغريب حقا ما أفاضه من قول فى التعريف بالحياة فى هذا العالم تعريفا دقيقا شاملا لعبت فيه شطحات الخيال دورا كبيرا ، وقد غذاها الوهم بأن الحياة هناك امتداد للحياة الدنيا أو نسخة منها فى كثير من الصور والألوان والأشكال ، وفى آمال البشر ومطامحه ! ولن يتسنى الحديث عن هذا العالم بمثل هذه الدقة وهذا التفصيل الا لمن عاش فيه وتنفس أجواءه •

فهو يقول : « للعلماء مكانة ممتازة فى البرزخ ، وفيه مجالس علم يعقدها العلماء ، ومحاضرات فى شتى العلوم والفنون والآداب ، لتثقيف الأرواح المنتقلة ، ومعاهد وقاعات للمطالعة ومكتبات · هنالك تنمو الرغبة فى العلم وطلب المزيد منه ·

وكل الذين ينتقلون وفى صدورهم آمال علمية لم تتحقق لهم فى الدنيا،تتحقق لهم هناك ·

الذين لم يحفظوا القرآن من المسلمين فى الدنيا ، وكانوا يتمنون حفظه فيها،تتاح لهم كل الفرص لحفظه ·

يعود شمل الأسرة الذى تمزق بموت أفرادها الى الانتظام فينعم بعضهم ببعض فى غير غل ولا حقد ولا عداء ·· هناك صلوات وعبادات كصلوات الملائكة وعباداتهم عمقا · يتلاقى الأصدقاء القدامى الذين فرق بينهم الموت ويعقدون أواصر صداقات جديدة أصفى وأوثق ·

تعيش بعض الأرواح فى أوهامها أزمانا ، فتظن أنها لا تزال كما كانت فى الدنيا ملوكا أو رؤساء ، فتسخر منها الأرواح الأخرى ··· هناك موسيقى · موسيقى عالية ·· وحفلات موسيقية للأرواح · وقد يشترك فى الحفلة الموسيقية ألف عازف ، ليسوا متجاورين · ولكن كل من مكانه يربط الأثير بينهم وبين الحانهم ··· للنبات هناك احساس ، وبه يطرب للموسيقى اذا سمعها ، وتتمايل أغصانه ، وتتحرك أوراقه وتهتز الأشجار الكبيرة العالية · اذا تاقت الروح الى راحة ، فانها تحصل عليها بأن تحصل على ضوء مخفف الدرجة يمكّنها من هجعة ·

ولو أنصف الكاتب لجعل لبحثه مثل هذا العنوان: « عالم البرزخ كما أتمنى أن يكون » أو « تصورات شخصية لعالم البرزخ » أو « البرزخ كما أتخيله »

لأن هذه المعلومات الدقيقة الضافية لم تستند الى نص يوثق به من نصوص الدين،ولكن الكاتب يقدمها كحقائق،ويعرضها كمشاهد حية ، وهو واثق بصحتها وثوق المعاينة ، أو وثوق السماع الذى لا يقبل الطعن والتجريح ٠

فكيف سمح لنفسه بذلك ؟

لقد قرأت فى بعض تعاليقه على فقرة من فقرات مقاله ما يلى : « من شاء التوسع فى التعرف على الحياة البرزخية ، فيمكنه الرجوع الى كتاب « الروحية الحديثة دعوة الى الايمان » للمؤلف

فاستخلصت من ذلك أن ما ذكره هنا هو قلّ من كثر ، وغيض من فيض كما يقال ٠ وأن هذه المعلومات ربما استقاها من الأرواح التى وقع استحضارها ودوّنها الوسيط ، وسنتحدث عن هذا الموضوع فيما يلى ٠ لكن يجب أن يُعلم هنا أن نشاط الروح التى فارقت البدن يختلف عن نشاطها فيه ، وأن عالم الأرواح يختلف عن عالم المادة اختلافا كثيرا فى أحواله وأطواره ٠

6) الأرواح محدَثةولا تفنى :

الروح من أمر الله الذى لا يعلمه سواه ، وكل ما يستطيع الانسان أن يعرفه عن الروح أنها تحل فى الجسد ؛ فتدب فيه الحياة ، ويظهر فيه الادراك والوعي والارادة ؛ وأنها تفارق

الجسد فيتحول الى جماد. وقد عرّفها بعض الفلاسفة المسلمين بأنها جوهر لا تقبل التحلل ولا الانقسام ، تفيض على الجسم الحياة وتوابعها ، فتسري فيه سريان الماء فى العود الأخضر ما دام الجسم صالحا لقبول الفيض .

ومن ثَم كانت الروح هى المميز للانسان عن غيره فى هذا العالم، وبها صار عالمًا وحده ، وبالروح أسجد الله للانسان ملائكته ، وجعله سيد هذا الكون وخليفته فى الأرض (1)

« واذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون ، فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعُوا له ساجدين » (2)

قال الغزالى : « لا يَعرف الموتَ من لا يعرف الحياة » . ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها ، وادراك ماهية ذاتها . ولم يؤذَن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم ، ولا أن يزيد على القول : « الروح من أمر ربي » . فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وان اطّلع عليه ، وانما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت » (3)

ثم إن الروح وإن كانت أبدية البقاء ، فهى حادثة بحدوث البدن ، وليست أزلية قديمة خلافا لما يراه « أفلاطون » ومن تبعه من الفلاسفة اليونانيين القدامى ، لأن النفس لا تكون نفسا الا بمشخصاتها الخاصة وتدبيرها للجسم ، وتصرفها به . فكيف

---

(1) السيد سابق : العقائد الدينية الاسلامية : 224

(2) سورة الحجر : 28 ـ 29

(3) احياء علوم الدين : ج : 4/519

تكون قبله ؟ ومن الغريب أن الرئيس « ابن سينا » مع قوله في جميع كتبه بحدوث النفس مع حدوث البدن ، يذهب في قصيدته العينية مذهب أفلاطون

ومهما اختلف العلماء في الروح ، هل هي النفس أو غيرها ؟ وهل هي جزء من البدن أو عرَض من أعراضه ، أو جوهر يجري، فانهم عجزوا جميعا عن ادراك كنهها ، وعن علاقتها بالجسد ، وعن ادراك سر الحياة في المادة • ومن عرّف الروح منهم ، فانما عرّفها بآثرها ، لا بجوهر حقيقتها •

قال ابن قيم الجوزية : « تأمل هذا الهيكل الانساني اذا فارقته الروح ، كيف يصير بمنزلة الخشبة أو القطعة من اللحم ؟ فأين ذهبت تلك العلوم والمعارف ، وتلك الصنائع الغريبة ، وتلك الأفعال العجيبة ، وتلك الأفكار والتدبيرات ؟ كيف ذهبت كلها مع الروح وبقى الهيكل سواء هو والتراب ؟ وهل يخاطبك من الانسان أو يراك أو يحبك أو يواليك أو يعاديك ، ويخف عليك أو يثقل ، ويؤنسك أو يوحشك إلا ذلك الأمر الذى هو وراء الهيكل المشاهَد بالبصر ؟ •• فالعلق والوصل التى بين الأشخاص والمنافرات والبعد انما هى للارواح أصلا » (I)

والأديان السماوية متفقة على وجود الروح • لكن المذهب المادي الذى انتشر في القرون الثلاثة الأخيرة أنكر مطلقا هذه الثنائية (الجسد والروح) معلنا أن ليس في الوجود سوى هذا العالم المنظور ، ولا شيء سوى المادة ، ولا مكان للروح في هذا الوجود • وعلى الرغم من انتشار هذا المذهب الالحادي ، فقد تقدمت حركة البحث في الروح تقدما واضحا ، وذلك إلى الحد

(I) التفسير القيم : 576 –

الذي وصفه فريد وجدي حين قال : « ان حركة الاعتقاد بالروح فى هذا العصر تفوق كل حركة تقدمتها ، وأن البرهان المحسوس على وجود الروح وخلودها صار على طرف التمام لكل طالب ٠

فيا ليت رسل الظلّمة يفتحون أعينهم لمشرق هذا النور المنبعث فى كل مكان،فيقلعون عن تسميم النفوس بكتاباتهم الالحادية ، واللهُ من ورائهم محيط » (1)

ومن الأدلة الاسلامية المثبتة للروح قوله تعالى :

« ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ٠ وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (2)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « ان أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله تعالى الملك ، فينفخ فيه الروح » (3)

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شخُص بصره فأغمضه ثم قال : إن الروح اذا قُبض تبعه البصر » (4)

وذكر الحافظ بن مندة بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما ٠ قال : لقي عمر بن الخطاب علي بن أبى طالب رضى الله عنهما ٠

---

(1) دائرة معارف القرن الرابع عشر الى العشرين ٠ م : 4 / 400

(2) سورة الاسراء : 85 ٠

(3) رواه مسلم ٠

(4) رواه مسلم ٠

فقال له : يا أبا الحسن ! ربما شهدتَ وغبنا ، وربما شهدنا وغبتَ · ثلاثا أسألك عنها : فهل عندك منها علم ؟ فقال علي : وما هي ؟ قال : الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا ، والرجل يُبغض الرجل ولم ير منه شرا · فقال علي : نعم ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الأرواح جنود مجنّدة،فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » (1)

ومن ناحية أخرى،فقد تجلى لكثير من العلماء المنصرفين لدراسة الكون،أن من الحماقة وضع حد للممكنات ، والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه من المجهولات · ومن ذلك مثلا أن العلاقة الزمنية التى يعبَّر عنها فى العلوم الطبيعية بقانون السببية أو العلة والمعلول ، أي:ان السبب يسبق النتيجة دائما · ولكن هذا القانون انكسر فى تجارب الادراك خارج الحواس ، بمعنى أنه يحدث تنبؤ ، فيحدث الادراك العقلي للحادثة « وهى نتيجة » قبل أن تحدث الحادثة فى الكون وهي (المؤثر أو السبب) · كما أثبت هؤلاء الباحثون ان العقل يستطيع أن يحس ، أو يتأثر بالمادة عن طريق الادراك الخارج عن الحواس ، ويؤثر كذلك فى المادة بالطاقة التى سمّوها الطاقة النفسية المحركة ـ : أى أن العقل يؤثر فى المادة دون اتصال مادي مباشر ·

فان كان هناك ادراك خارج الحواس ، وطاقة نفسية محركة · فهذا دليل على أن للشخصية الانسانية شقا لا يخضع للقوانين الطبيعية المعروفة فى علم الفيزيا والكيمياء · أى إنه شق روحي (2)

---

(1) رواه مسلم ·

(2) العقائد الاسلامية : 233

ومن شاء الاستزادة من هـذه الأبحـاث فليرجـع الى كتـاب « العقل وسطوته » (1) ففيه بحوث مستفيضة عن هذه الناحيـة أصبحت فى موقف علمي رصيـن ، سيمـا وقد عرضـت عـلى مؤتمرين لكل علماء الولايات المتحدة فى الرياضة الاحصائيـة وعلم النفس • فالانسان اذن جسد وروح • وقد اتفق أهل الجماعة من المسلمين على ان الروح مخلوقة لله • فهـى حادثـة خلافا لمن زعم من الروافض أن روح آدم ليس بمخلوق ، ولمّا تأولته النصارى فى روح عيسى عليه السلام ، فقالوا:إن الروح انفصل عن ذات الله تعالى ، فعبدت طائفة منهم عيسى ومريم ، لأن عيسى عندهم روح من الله ، فصار فى مريم • فهو عندهـم غير مخلوق •

أما الرافضة فقد تأولوا قولـه تعالـى فى قصة خلـق آدم : « **ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه** » (2)

كما تأول النصارى قوله تعالى : « **انما المسيح عيسى ابـن مريم رسول الله وكلمتهُ ألقاها الى مريم وروحٌ منه** » (3)

ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح فى آدم وعيسى وغيرهما كلها مخلوقة لله • خلقها وأنشأها وأضافها الى نفسه كما أضاف اليه سائر خلقه إضافة أعيان منفصلة عنه : كبيتِ الله ، وعبد الله ، وكذا روح الله ، فهذه اضافة مخلوق الى خالقه ، ومصنوع الى صانعه ، لكنها تقتضى تخصيصا وتشريفا يتميز به المضـاف

---

(1) تأليف ج • ب • رآين • تعريب الدكتور محمد الحلوجى •

(2) سورة السجدة : 9

(3) سورة النساء : 171

اليه عن غيره ، فهى اضافة إلى الوهية ٠ تدل على تكريمه وتشريفه ، بخلاف الاضافة العامة ٠ فهى تقتضي الخلق والايجاد ٠ فاضافة الروح اليه تعالى من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ، ولا من باب اضافة الصفات كالعلم والقدرة والارادة ٠ فمثلُ هذه الصفات أزلية غير مخلوقة (1)

فالروح وان كانت محدثة لكنها لا يلحقها عدم ولا فناء،لأنها خُلقت للبقاء ، وانما تموت الأبدان ، وقد دلت على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقتها لأبدانها كما سبق ٠

كما ثبت فى السنن والآثار أن الأرواح تتصل بفناء القبر وبالبدن أو ببعض أجزائه اتصال إشراق وامداد ٠ وهى أسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا ٠ ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم أو العذاب ٠ والله تعالى يقول : « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون** » (2)

مع القطع بأنهم ذاقوا الموت ، وأن أرواحهم فارقت أجسادهم ، ولكنهم مع ذلك كانت لهم صفة الأحياء فى الدنيا من الاستبشار بالنعمة ، والفرح بالمنة والرزق ٠

واذا كان هذا فى الشهداء ، كان الأنبياء بذلك أحق وأولى ٠ وقد صح عن النبيء صلى الله عليه وسلم : أن الارض لا تأكل أجساد الأنبياء ٠

---

(1) مختصر لوامع الأنوار البهية : 319

(2) سورة آل عمران : 169

وللأرواح فى العقيدة الاسلامية أربع دُور ، كل دار أعظم من التى قبلها •

الدار الأولى : فى بطن الأم حيث الحصر والضيق والغم

والدار الثانية : الدنيا التى نشأت فيها وألِفتها ، واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاء •

والدار الثالثة : البرزخ وهو أعظم من الدنيا وأوسع ، ونسبتها اليه كنسبة هذه الدار الى الأولى •

والدار الرابعة : دار القرار ، وهى الجنة والنار ، فلا دار بعدها • ولها فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى ، وهي متفاوتة فى درجات سعادتها او شقاوتها تفاوتها فى مراتب العلوم والأعمال والطاعات والقوى والأخلاق (I)

وخلود الأرواح البشرية فى النعيم أو فى الجحيم حقيقة حتمية فى الدين يجب الايمان بها • وكل تأويل لمعنى الخلود الوارد فى القرآن والسنة خروج به عن معناه الأصلي بدون قرينة ولا مبرر • والآيات القرآنية والأحاديث النبوية أكثر من أن تحصى فى هذا المجال • ومن ذلك مثلا : قوله تعالى :

إنه من يأت ربّه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى • ومن يأتِه مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى •

(I) انظر : العقائد الاسلامية : 242

جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكّى » (1)

وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما : « يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار • ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ! كلٌ خالد فيما هو فيه » (2)

روي أن قيس بن عاصم وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم مع جماعة من بني تميم وقال له : يا نبى الله عظنا موعظة ننتفع بها • فقال له : « يا قيس ! إن مع العز ذلا ، وإن مع الحياة موتا ، وإن مع الدنيا آخرة ، وإن لكل شيء حسيبا ، وعلى كل شيء رقيبا ؛ وإن لكل حسنة عقابا ، ولكل أجل كتابا ؛ وإنه لا بد لك يا قيس من قرين يُدفن معك وهو حي ، وتُدفن معه وأنت ميت فان كان كريما أكرمك ، وإن كان لئيما أسلمك ، ثم لا يُحشر الا معك ، ولا تُبعث الا معه ، ولا تسأل الا عنه • فلا تجعله إلا صالحا ، فانه إن صلح أنست به ، وإن فسد لا تستوحش الا منه ، وهو فعلك » • فقال قيس : يا نبى الله ! أحب أن يكون هذا الكلام فى أبيات من الشعر نفتخر بها على من يلينا من العرب • فأمر النبيء صلى الله عليه وسلم من يأتيه بحسّان بن ثابت شاعره ، ففكر قيس قبل مجيء حسان ، فقال :

تخيَّرْ خليطا من فِعالك إنما
قرين الفتى فى القبر ما كان يَفعل

(1) محمد على ناصر : أصول الدين الاسلامى

(2) سورة طه : 75 ـ 76

ولا بـدّ بعَـد المـوت من أن تعـــده
ليـوم ينـادَى المـرء فيـــه فيقبـــل

فان كنت مشغـولا بشـىء فـلا تكـن
بغيـر الذى يرضـى بـه الله تُشغـل

فلن يصحب الانســانَ من بعـد موتـه
ومــن قبلِـه الا الـذى كـان يفعـــل

إلا إنمـا الانســان ضيـفٌ لأهلـــه
يقيـم قليـلا بينهـم ثـم يرحـل (1)

فأمام الانسان فى هذه الحياة فرصة ثمينة عليه أن ينتهزها فيقهر أهواءه ، ويسمو بروحه حتى يتطهر ، ويكون أهلا للرفيق الأعلى فى جوار ربه الكريم الذى لا يقبل الى جواره المشركين والمجرمين والسفلة الذين التصقوا بالتراب ، ولم يرتفعوا عنه

كما قال جل شأنه :

« ان الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفتّح لهم أبوابُ السماء » (2)

فاذا واصل الانسان جهاد نفسه،وآمن بالله وبرسله وبما جاءوا به من الحق والهدى ، وتخلص من الهوى ، وانتصر على نزواته ، وارتفع عن الآثام والنقائص ، وسمت روحه الى الحق والخير والجمال بلغ المنزلة التى يريد الله أن يصل إليها الإنسان فى هذه الحياة،ليستحق جواره فى دار البقاء .

(1) رواه البخارى

(2) سورة الاعراف : 40

لذلك فان الاتجاه الذى سار فيه الفيلسوف محمد اقبال حول خلود الانسان يبدو لي أنه قصره على جانب واحد،وهو وصول الروح الى أسمى مرتبة فى هذا النمو عندما تكون قادرة على ذلك .

« والانسان في القرآن متاح له أن ينتسب الى معنى الكون،وان يصير خالدا » (1)

ولا يقابل هذه الصورة من سمو الروح وخلودها الا انحطاطها وفناؤها . بينما الخلود فى مفهوم الاسلام يشمل الجانبين المتقابلين ، ويكون فى أحدهما بدون ميز،إما السعادة وإما الشقاء . كما قال جل ثناؤه :

« يوم يأتي لا تَكلَّم نفس الا باذنه ، فمنهم شقي وسعيد . فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك . ان ربك فعّال لما يريد . وأما الذين سعِدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاءً ربك ، عطاء غير مجذوذ » (2)

يقول اقبال :

« يظهر أن حالة البرزخ ليست مجرد حالة من التوقع السلبي ، بل هى حالة تلمح فيها النفس أوجُها من الحقيقة جديدة ، وتتهيا للتكيف مع هذه الأوجه ، ولا بد أن تكون حالة تحرر روحاني عظيم ، وبخاصة عند النفس الكاملة الرشيدة التي تكون بالطبع

---

(1) تجديد الفكر الدينى فى الاسلام : 135 ـ 136 .

(2) سورة هود ، 105 .

قد اكتسبت أنماطا ثابتة من العمليات على أساس من نظام مكاني زماني معين • وقد يكون معنى البرزخ : انحلال النفوس التى جانبها التوفيق • على أنه لا مفرّ للنفس من أن تكافح كفاحا موصولا حتى توفق الى التماسك والى الفوز بالبعث » (1)

لكن أين تكافح الروح هذا الكفاح المتواصل ؟ ان كان ذلك فى البرزخ كما يدل عليه سياق الكلام ، فان هذا الرأي يتفق مع ما تقول به فلسفة « الروحية الحديثة » من أن جهنم موجودة داخل الروح وحولها ، وكذلك الجنة • وما الثواب والعقاب الا حالة نفسية ، وأن الأشرار سيستمرون بعد وفاتهم فى الاحساس بالآلام فى صورة مضاعَفة • فمن يموت منهم فى حادث مفاجىء مثلا يستمرّ بعد وفاته يكرر هذ الحادث الى الأبد ، وأن بعض الأرواح لا تُبعث ولا تخرج من قبضة الموت الا بعد أن تقوم بأعمال كبيرة وشاقة تكفيرا للذات عما جنتْ ، وتطهيرا لها من كل الشوائب التى تحول بينها وبين دخول ملكوت الله فى الملإ الأعلى •

وبناء على ذلك فان من لا يُصلح أخطاءه فى حياته الحاضرة بسبب عجزه أو خبث طويته ، سيجد نفسه فى حياته الأخرى على صلة بمن يكون قد آلمهم ، وذلك الى أن يثبت تفانيه نحوهم ، والى أن يقدِّم لهم الخير على قدر ما قدم لهم من شر • • •

ان الأرواح البعيدة عن الكمال تبقى فى مناطقها الدنيا حتى تتخلص من نقائصها • وعندئذ تستحق الانتقال الى عوالم أرقى • • • على أنه مهما بلغ انحطاط بعض الارواح وانحرافها

---

(1) تجديد الفكر الدينى فى الاسلام : 137 ـ 138

فان الله لن يتخلى عنها ، بل يهييء لها دائما أرواحا تحميها وترشدها ، وتسهر عليها لتثير فيها نزعة الخير ، والرغبة في التقدم ، كي تصلح فى وجودها اللاحق ما اجترحته من آثام فى وجودها السابق » (1)

وقد قرأت في بعض كتب (الرّوحية الحديثة) رسائل يزعمون وصولها من المسيح عليه السّلام ، تفيد أنّ الإنسان حينما يفارق الدّنيا ويصير روحاً ، يصبح قاضي نفسه ومقتصّاً منها. وتنفي هذه الرّسائل أبديّة العذاب في جهنّم فتقول :

« لا يُتبادر إلى ذهن أحد أن مدّة العذاب في جهنم ستكون قصيرة ، فبعض سكّانها الأشرار سيُمضون بها قرونا طويلة في ظلام وآلام ، ولكن سيأتي حتما الوقت الذي يخرجون فيه منها ؛ وذلك حينما تأتي لتلك النّفوس اليقظة الحقيقية ، وسيتمكّنون من أن يصبحوا أبناء النّور.

وعلى الإنسان أن يعلم بأنّ جهنم ليست مكاناً للعقوبة الأبديّة، أو لإشباع سخط الإله دائماً ، وإنما هي المكان الطبيعي لإقامة الأرواح التي خالفت القانون الإلهي وقتاً ما. نجميع مناطق جهنم وجميع مناطق الجنّة أماكن لاطّراد التقدم والترقيّ ، لأن جميع البشر أبناء الله ، وجهنّم نفسها سوف تدمّر نهائياً ».

إن هذا الذي تشيعه الروحية الحديثة يتنافى وما أخبرت به الأديان السماويّة على لسان رسلها في القرآن، فلا يجوز قبوله أو التصديق به.

ولعل من المفيد هنا أن نعرض بايجاز (الروحيّة الحديثة) وما جاء فيها وما قيل عنها.

---

(1) رؤوف عبيد • الانسان روح لا جسد • ج : 2/256 ــ 257

الروحية الحديثة

(عرض ونقد)

فالروحية الحديثة لا تقول بنظرية الخلود فى العذاب ، لأنه لن تكون للروح فائدة من العودة الى طريق الخير ، ولا سبيل لها الى ذلك ما دام الأمل فى المستقبل مغلقا فى وجهها .

ولم تعتمد الروحية الحديثة فى ذلك على نصوص سماوية،وانما اعتمدت على ما سجله الوسطاء لبعض الأرواح التى وقع **استحضارها حسب زعمهم** . وهى تعمل تحت لواء جمعية المباحث الروحية التى تأسست بلندن سنة 1882 ، وامتد عملها فى أنقلترا وأمريكا . ومن أعضائها أعلام فى الفلسفة وعلم النفس والعلوم الطبيعية والفيزيا،والكيمياء والرياضيات . وما تزال هذه الجمعية قائمة الآن فى انقلترا وأمريكا،وهى تقبل فى عضويتها المؤمنين بوجود الأرواح والمناهضين لهذه الفكرة على السواء ، وكل ما تشترطه هو الالمام بالروح كظاهرة طبيعية ، هدفها القيام ببحوث ودراسات عن الروح وعن عالم ما وراء الطبيعة فى النطاق العلمي بواسطة التجربة . وقد أقيمت لها مؤتمرات عالمية فى لندن وباريس وغيرهما،وأُلّفت فى ذلك المجلدات الضخمة التى تثبت كلها وجودَ عالم الروح وامكان الاتصال بالأرواح ، ومحاولة الكشف عن موقع هذا العالم ، وأسلوب الحياة فيه ، والثواب والعقاب ، والزمان والمكان وشخصية الانسان هناك ..... الخ ... .. ونتيجة لهذا النشاط المتزايد تأسست كراسٍ للأستاذية فى البحث الروحي بعدة جامعات فى العالم .

وقد رأيت فى الجــزء الأول من كتــاب « الانســان روح لا جسد » (1) صــورا عديــدة لأشبــاح الأرواح التى التقطتهــا عدسات الكاميرا الآلية خُفية عندما وقع استحضار هذه الأرواح فى الظلام ، وقرأت ما كتبــه بعض العلمــاء الغربييــن وحتى المسلمين فى اثبات ما توصلت اليــه الروحيــة الحديثــة مــن اكتشافات روحية عظيمة الشأن ، والتنويه بما قــامت بــه من أعمال هي أجلّ شأنا مما كان يتصور الانسان ، والخروج من ذلك كله بدلالات بعيدة المدى فى حل كثير من المشــاكل والألغــاز ، وتصحيح كثير من القضايا والمفاهيم .

كما قرأت من إجابــات الأرواح المستحضــرة عــلى أسئلــة وسطائها ما يثير الدهشة والاستغراب . وأذكر على سبيل المثال هذا الاتصال بروح السيدة هيلين ميشال : (Héléne Michél)
« وهى سيدة صغيرة السن . توفيت فجأة فى الخامسة والعشرين من عمرها . كانت غنية ، فاترة الاحساس نوعا ما . كما كان اهتمامها بالامور التافهة أكثر من اهتمامها بالجادّ منها . ورغــم ذلك فقد كانت طيبة القلب ، رقيقة ، سليمة الطوية ومحسنة . قالت بعد أيام مــن وفاتها : « لا أعرف أيــن أنــا ؟ ولا هــذا الاضطراب الذى يحيط بي . لقــد طلبتموني فحضرت ، ولا أعرف لماذا ؟ لست بمنزلي الآن انهم يبكونني لأنى غائبة ، مــع أني هنا . ولا أقدر أن أشعرهم جميعا بوجودي . ان جسدي أصبح لا ينتمي اليّ ، ومع ذلك أشعر به باردا مثلجا . اني أريد أن أغادره . وقد حضرت الى هنا . اني شخصان ..... أواه

---

(1) للدكتور رؤوف عبيد . أستاذ بكلية الحقوق . بجامعة عين الشمس .

متى أفهم ماذا حلّ بي ؟ ينبغي أن أذهب الى هناك حيث ذاتـــي الثانية • ماذا سيحل بهذه الذات الغائبة •••• وداعا • »

وعند استدعائها بعد بضعة أيـام قالت : « أشكركم لأنكـم صلّيتـم لأجلـي • وانـي أومـن برحمـة اللـه التى وفـرت علي الآلام ، وكذلك الاحساس باللحظة التى انفصل فيها جسدي عن روحي • ان والدتي ستتحمل عناء كبيرا حتـى تستسلـم لارادة الله • لكن هناك من يساعدها • وما يبدو لها الآن مصيبة كبرى « وهى وفاتي » كان أمرا لا مفر منه حتى تكـون ارادة الله بالنسبة لها ما ينبغي أن تكونه • سأكون بجانبها حتى نهاية محنتها الأرضية ، وسأساعدها على تحملها • لست شقية ، لكن عليّ أن أفعل الكثير حتى أتقدم نحو المقر السعيد • وسأصلّي الى الله حتى يأذن لي بأن أعود الى هذه الأرض ، لأن علي أن أعوّض ما فقدت من وقت فى هذا الوجود • ليقوّكم الايمان أيها الأصدقاء! ولتكن لديكم ثقة فى قوة الصلاة اذا صدرت من القلب • فالله كريم » (1)

هذه رسالة من عشرات الرسائل ، بل من مئات الرسائل التي تزعم الروحية الحديثة أنها صادرة عن أرواح موتى معروفين ، أُحضرت لتجيب على كل ما تُسأل عنه من حياتها الشخصية فـى الدنيا وفى العالم الروحاني ، وعن طبيعة هذا العالم وأسلوب الحياة فيه بصفة عامة •

وفى كتاب « الانسان روح لا جسد » نجد عدة قصائد أملَتها على الوسيطة روح أمير الشعراء أحمد شوقي • ومن بينهـا ،

---

(1) الانسان روح لا جسد • ج : 2/275 ـ 276

قصيد له تحت عنوان « **تحية وتأييد** » لكتاب « الانسان روح لا جسـد » .

نقتطف منه هذه الأبيات :

ورسالتي ديباجة حملتها شوقا أطوف به الحمى وأسلّم
سجلتها متطوعا ومهيمنا بالروح أملي والوسيطة تُلهم
يا صحبُ إنا فى الخلود منائر تجلو الطريق بصدقٍ ما نتكلم
نحيا بمملكة السماح وديننا حب طليق للعباد يقسَّم
وهنا نعيش بلا خريف منْفر بل فى ربيع يانع نتنعم
يا لوعة الأحياء ممن أرجفوا بجهالة ضد الخلود وأقسموا
فأحذر مثار الغي فيمن نددوا بالخالدين وبالشكوك تزعّموا

وارهب مآل المارقين اذا افتروا
واسترخصوا الروح الكريم وحطّموا
هيهات فيهم من يُفيق ومن يعي
ما السدة العلياء ؟ ، أو ما تنعم
يا غافلين عن الخلود وملكه
ما العيش فى الدنيا مآل يُختم
فابغوا الرجاء على امتداد نوالكم
فى الخلد اذ يبقى الفعال القيم
ونوالها وقفُ على من أيقنوا
كنه الخلود فأيدوا واسترحموا .

وتعلّقـوا فــي حكمـة بـرقيهـم
انْ هم سعوا لرحابهـا وتقدمـوا (1)

والغريب فى الأمر أن روح شوقي تملي مثل هذه القصائد وهو الذى كان فى الحياة الدنيا يفنّد المزاعم القائلة بامكان استحضار الأرواح ، وينكر على الذين يصدّقون بهذه الترهات،فيقول فـي قصيد :

« ذكرى كرنارفون »

لا تسمعنّ لعصبة الأرواح مـا قالـوا بباطلِ علمـه وكِذابِهِ
الروح للرحمـان جـل جلالـه هي مـن ضنائن علمـه وغيابه
غُلبوا على أعصابهم فتوهمـوا أوهامَ مغلوب على أعصابه (2)

فهل انكشف للشاعر بعد الموت من سر الحقيقة فى عالم الأرواح ما كان ينكره فى حياته ؟؟ أو هي احدى مفتريات الروحية التى يجمع بعضَ أعضائها الدهاة عملٌ هادف لغايات معينة ، وبيـن أعضائها السذج سرعةُ التصديق ؟

قال أحمد محفوظ معرِّضا بالوسطاء الذين يزعمـون أنهـم يستحضرون الأرواح ويتحدثون إليها :

يا نفسُ موطنك الخلود ، وانما هذا القدوم على رحيل مزمـع
وأرى وسيطك ممعنا متعمقـا بين المجامع يفتري أويدَّعي(3)

---

(1) الانسان روح لا جسد : 3 ـ 16 .
(2) الشوقيات . ج : 79/1
(3) المقتطف : مج : 100 . ج : 480/5

وقال يوسف أسعد فى استحضار الأرواح :

كم منفقٍ جهدا على استحضارها فشلت وسائلُه وكم من مدّعي
لك بعدها طول البقاء فقد مضت
كرها كما جاءت ، وما من مرجع (I)

لقد قرأت الكثير من المؤلفات التى صدرت عن هذه الجمعيات الروحية ، فلم أخرج منها بطائل • لكنّ الذى يدفعنى الى الحكم بزيف ما يدعون ، وباطل ما يزعمون :

I) أن الأرواح من عالم الغيب الذى لا يصح أن يعتمد التجربة الحسية بحال منهجا فى البحث ، لأن ذلك فوق الحس والتجربة • بينما الروحية الحديثة فى استحضارها لأرواح الموتى حسب زعمهم أو ما يسمونه « Spiritualisme » تستعمل منهجا علمانيا « Sécularisme » لأنها تقوم على الدعوة الى اخضاع عالم الغيب للتجريب • فهى تلبس مسوح العلم ، وتصطنع اسمه حين تزعم أنها تُجري التجارب على الاتصال بأرواح من ماتوا ، وتدعي أن هذا هو سبيلها الى رد الناس عن تيار المادية الطاغية • والواقع أنها ليست حربا على المادية كما يزعم أصحابها ، ولكنها إغراق فيها ، وإمعان فى التمسك بها ، لأنها لا تقنع باخضاع عالم الشهادة للمنهج التجريبى ، ولكنها تتطاول الى عالم الغيب ، تريد اخضاعه للتجربة أيضا •

واذا سلّم الناس بذلك انتهى بهم الأمر الى انكار كل ما لا يمكن ثبوته عن هذا الطريق • وهنا يكمن الخطر !

(I) المقتطف • مج : 64 • ج : 262/3

2) أن الروحية الحديثة تقوم على عقيدة الحلول ووحدة الوجود، وهى عقيدة باطلة يتبرأ منها الاسلام :

ومن ذلك مثلا : ما ورد فى كتاب لجمعية إسلامية روحيـة من أقوال روح الرائد لهذه الجمعية :

« إني صوت منبعث من السماء • ينادي أهل الأرض أن آمنوا بالله • • • تذكّروا دائما أنكم فى الله ، وأن الله فيكم • • • • •

نحن جميعا جزء من الروح الأعظم ، وأنتم فى مجموعكم مـع بقايا الحياة الأخرى تكوِّنون الروح الأعظم ، ولا وجود لله خارج هذه المجموعة ، ولو أن هذا القول لا يمكنني أن أبرهن عليه ، الا أنه يحسن قبول كلمتي فى هذا الصدد (1)

3) أن الروحية الحديثة رغم أن الأقوال التى تنقلها عن الأرواح فى مجالس خاصة أو عامة تحمل فى جملتها طابعا مسيحيا مـن حيث العقيدة ، كالصلاة من أجل خطايا البشر ، وطول الافاقة من سكرة الموت ، والخلاص من سجنه ، وتعنت بعض الأرواح الشريرة فى العالم الآخر ، وقيامها بأشقّ الأعمال تكفيرا عن آثامها • فان هذه الاقوال التى تنقلهـا عن أرواح الموتـى لا تخلـو أحيانـا من تناقض وتضارب • فى حين أن الحق واحد فى جوهره عنـد الله ، والأرواح فى عالم الحقيقة تصدر عن الحـق • فمـا سـر اختلافها ؟

قالت روح الدكتور كاردون (Gardon) : صلّوا أيهـا الأصدقاء لهذا العالم غير المنظور الذى يتحكّم فى مصائركم (2)

---

(1) كتاب التوحيد والتعديد : 45و52 •

(2) الانسان روح لا جسد • ج : 2/276

وقالت روح أوقيست ميشيل (August Michel) لوسيطه :

« أنت الوسيط الوحيد الذى يمكن أن أطلب منه أن يصلي لي حتى تنتشلني رحمة الله من الاضطراب الذى أعانيه .... إن صلاتكم يمكن أن تفيدني ، فأرجو ألا تتوانوا عن أدائها (1)

بل ان المتأمل فى ما تنطوي عليه رسائل الموتى وأقوالهم يلاحظ أنها لا تخلو من دعاية تبشيرية للمسيحية من جهة،وازالة الحواجز بين الأديان والعقائد الأخرى من جهة ثانية . فالروح المرشد لبعض الجمعيات الروحية « سلفربش » يقول فى كتابه :

« لازال المسيح فى عالمنا هو أعظم مَن نعرف ، ولم يحدث قبل يومه أو بعده أنْ تنزّل الإلهام الالهي الى الأرض بالقدر الذى نزل عليه .

ثم هو يكذّب برسالة محمد صلى الله عليه وسلم،ويزعم أن لعيسى أبا فيقول :

« كان عيسى آخر الأنبياء والمعلّمين ، ذاك الذى وُلد من أبوين يهوديين » (2)

ولو أتيح لهذه الأرواح جدلا أن تعود من عالم الحق الى الأرض ـ والعودة بعد الموت مستحيلة ـ لما دعوا الناس فى هذا الزمان إلا إلى اتّباع محمد،والأخذ من قرآنه وحسب (3)

---

(1) المصدر السابق : 278

(2) الحكمة العالية : 53 ـ

(3) ركائز الايمان : 358

وان كانت هذه الرسائل والأقوال صادرة عن أرواح بعض المسلمين كروح أحمد شوقي حين قالت حسب زعمهم :

والى الرغائب يستجيب ذووا النهى
فالعلم فى دنيا الخلود متمّم

ولذاك قامت فى الخلود منابر
تدلي بأقدس ما ينير ويُفهم

وتنادت الأجيال بالعلم الذى
مِن عالم الغيب استقام يكرّم

وتخاطب الرواد من أقصى الدُّنى
مع روح مَن فى الخالدين وسلّموا

وغدا التجسدُ والظواهر غاية
يصبو اليها الباحثون ليحكموا

أليست هذه دعاية من عالم الروح للروحية الحديثة تخدم ركابها ، وتعلن صدقها على لسان شوقي الذى كان يرد على مزاعمهم الباطلة فى الدنيا ؟ فاذا هو اليوم يقول أو يقوّلونه :

وأقيمت الجلسات تحت رقابة
حتى ثقات الراسخين تكلّموا

إذ أجمع النقاد ألاّ خدعةٌ
بين الظواهر والمؤيّد يحكم (1)

(1) الانسان روح لا جسد : 6/2

ومهما عدّد لنا المصدقون والمؤمنون بالروحانية الحديثة من أعلام العلماء الأوروبيين والأمريكيين الذين شاهدوا هذه التجربة،وقدموا دراسات علمية فيها ، واستخلصوا ما توصلوا إليه من أبحاثهم عنها،فليس أحد بملزَم أن يقبل ما يملونه من آراء ، أو يشيعونه من معتقدات .

وقد نشرت مجلة المعرفة بحوثا فى الرد على هذه الروحانية (1) كتبها الشيخ عبد الواحد يحيى (2)

ومما جاء فيها :

« من أخطر الأغلاط الغربية الحديثة واحدة ثبتت فى أمريكا منذ أقل من مائة سنة(1847)وعرفت باسم « الروحانية الحديثة » ويمكن تحديد معناها بأنها : ثبوت إمكان الاتصال بالموتى

أمّا كيف بدأت ؟ فانها لاحت فى بعض ظواهر طبيعية كانبعاث أصوات ، وتحرك أشياء فى أحد المنازل بدون سبب واضح لها . وأما هذه الظواهر فقد لوحظت فى كل زمان ومكان ، فلا يمكن القول بأنها ظواهر شاذة . فلماذا يولِّد منها الغربيون عقيدة

---

(1) انظر : مجلة المعرفة المصرية : صفر : 1350هـ ـ يوليو 1931م ـ ربيع الثانى 1350هـ سبتمبر 1931 م ـ جمادى الثانية : 1350هـ ـ نوفمبر 1193م .

(2) هو الاسم الذى اختاره العالم الفرنسى الشهير : « رو نى جينو » اعتنق الاسلام على يد الشيخ عبد الرحمن عليش سنة 1912 وعاش بالقاهرة وكان صوفيا شاذليا . وكان اسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من الغربيين ذوى البصائر النيرة فاقتدوا به واعتنقوا الاسلام (انظر ترجمته فى كتاب المدرسة الشاذلية الحديثة . للدكتور عبد الحليم محمود : ص : 229 ـ 264

جديدة فى تلك الحالة الخاصة ؟ بينما لم يفكر أحد فى شيء من ذلك من قبل !! ....

وإننا اذا تخيلنا صورة الحياة بعد الموت على مثال صورة حياة الجسم على الأرض ، وهى التى انقاد لها أتباع « الروحانية الحديثة » التى لم تكن فى الحقيقة الا مادية من نوع آخر ، بل أكثر ضررا من المادية،لأنها تخلق الأوهام والتخيلات في حقيقة طبيعتها ، حتى تتمكن من التأثير فى الذين لم يقبلوا الآراء المادّيّة الصريحة الشّائعة. إذا تخيّلنا هذه الصّورة فقد أخطأنا السبيل. ويكفي أن نرى كم من أشخاص أصيبوا بالجنون أو الخراب أو الإنتحار بواسطة ما يسمى : « الاتصال بالموتى ». !

... ثم إن هذه الظواهر المختلفة التى يرى فيها الروحانيون الحديثون برهانا على وجهة نظرهم كانت معروفة عند القدماء ، بل كانوا أكثر علما بها ممن يعرفونها الآن . لذلك فاننا ننكر التفسير الحديث لهذه الظواهر والحقائق بنسبتها الى فعل « الأرواح المجردة » . وهى الشخصيات الانسانية التى زالت من عالم الوجود الأرضي . إذ كيف يقبل التفكير السليم أن هذه الأرواح المجردة يمكنها تحريك مائدة أو استيلاؤها على اليد بقوة خفية ، فتجعلها تكتب أو ترسم ، أو أشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل ؟

فمثل هذه الاثباتات لا تدل الا على عدم العلم ...

وينبغى أن نذكر أنه : إذا أمكن للانسان أن يتصل بالأرواح ، فان ذلك لا يكون الا بان يصيّر نفسه متيقظا فى حالة وجوده الخاصة التى تطابق الحالة نفسها ، والتى تكون فيها تلك الأرواح

فعلا • ولكن هذه مسألة أخرى ليس لها أية صلة بتعاليم وأفعال الروحانية الحديثة • • •

ونحن إذا رجعنا الى الحالات النفسية التى تعتري الانسان تحت تأثير التنويم المغناطيسي، او تحت تأثير قوى أخرى كامنة فيه ، فينبغى أن نقرر أن الانسان فى هذه الحالات ــ كما فى الحالة العادية ــ يحاط بقوى فعالة مختلفة ألطف من تلك التي فى عالم الجسم والحس • وهذه القوى لها قوانين مثل القوانين الطبيعية الأخرى • فان أمكن أن تُجمع وتركز بشروط خاصة ، فانه ينبعث منها تأثيرات ربما تظهر غريبة لمن يجهلون مثل هذه الأشياء ؛ مثلها فى ذلك مثل ظهور التأثيرات الكهربائية لمن يجهلون الطبيعيات

• • • فالإنسان فى حالته العقلية أو النفسية يجد نفسه متصلا ــ كما فى الحالات العادية ــ بكائنات أخرى موجودة فى حالات تتفق مع حاله • وهذا ما يحدث لهؤلاء الذين يشتركون فى (جلسات) الروحانية الحديثة بدون رغبة منهم أو معرفة ، فيوصلون أفكارهم الى الوسيط • • •

وفى بعض الحالات تحدث الظواهر ــ طبيعية كانت أو مفتعلة ــ بعناصر تنبعث حقيقة من الموتى ، ولكن ليس اتصال فعلي بشخصياتهم الحقيقية : وهذه العناصر ما هي الا بقايا نفسية مشابهة لبقايا الجسم التى يتركها الميت بعده بتحلّله : لأنه يوجد فى الطبقة النفسية عناصر تلازم الخالد من الكائن ، وهذه العناصر أقرب الى الحالة الجسمية ، ولذا يمكنها أن تولّد تأثيرات حسية •

كما ينبغي أن نذكر إمكان تداخل كائنات ليست لهـا حيـاة جسمية ، وليست لها طبيعة روحية خالصة ، ولكنها تقرب جدا من العالم الحسي • ولهذا يمكنها أن تُحدث تأثيرات فيه • ونريد أن نشير هنا بصفة خاصة الى فعل الجن •••

وعلى أية حال فان القوى التى تعمل فى هذه الظواهر ـ سواء أكانت تخص الوسيط نفسه ، أو أي حي آخر سواه ، أو كـانت قوى أخرى خارجية مثل القوى السابحة ، أو قـوى تنبعث مـن أحياء مثل الجن ـ هذه القوى تقرب جدا من العالم الحسي ، ويجب أن تعتبر من طبيعة منحطة ، فلا تتدخل القوى العلويـة فيهـا مطلقا • لذلك فلا يصح التصديق أبدا بظهور شخصيـة أحـد الموتى • وكثيرا ما تَستمد هذه القوى أفكارَها من عالم الأشخاص الذين تظهر بينهم ، فتعبر عما يجول بخاطرهم.وهذا يفسر لنا : لماذا يناقض ما تَسمى (بالأرواح) بعضها البعض

خذ مثلا لذلك : بينما تشيع نظرية « التقمص » فى فرنسا ، إذ لا يُعترف بها فى انقلترا وأمريكا • رأينـا أرواحـا مـادية فى بعض الرسائل التى سُلمت فى هولاندا منذ عشريـن سنـة تُنكر الخلود ، وتثبت أن حياة الانسـان تبقى بعد المـوت عـلى الأكثر لمدة مائة وخمسين عاما •••

وهكذا فان السَحرة يمكنهم أن يقلّدوا بعض كرامات الأولياء، ومع هذا التشابه الظاهري فى النتائج،فانه لا يوجد شيء مشترك بين مصادرها المتباينة فيما بينها تماما • فنخلص من ذلك كلـه الى أن المعرفة الروحية لا يمكن أن تتكوّن الا اذا بدأت من فوق• وهذا نقيض ما يفعله العلم الغربي الحديث تماما ، ذلك العلـم

الذى يريد أن يبدأ من الوقائع،ليستخرج منها تفسيرا شاملا ، كما لو كان الأكثر يمكن أن يُستخرج من الأقل ، وكما لو كان الأوضع يتضمن الأرفع ، وكما لو كانت المادية يمكن أن تكون معيارا للروح !؟

هذه مقتطفات اخترتها من الفصول القيمة الطويلة التى كتبها هذا العالم الفرنسي المسلم فى مجلته التى أنشأها بالقاهرة وسماها « المعرفة »

ويقول بعض المفكرين الهنود : إن الذى يتلبس الوسيط أثناء التحضير،هي أرواح سفلية تَعرف بعض الأشياء عن الموتى، وتستخدمها فى السخرية بعقول الموجودين والضحك عليهم •

ويقول بعض الصوفية من المسلمين : إن الذى يحضر فى تلك الجلسات ليس الروح،ولكنه القرين ، وهو الجن الذى كان يصاحب الميت أثناء حياته ، وهو بحكم هذه الصحبة يعرف أسراره كما أشار القرآن (1) ولأن الجن يعمِّر ، فهو يبقى حيا بعد موت صاحبه ، وهو الذى يحضر الجلسات ويُفشي أسرار صاحبه ، ويقلد صوته وعاداته ليسخَر من الموجودين •

وبعبارة أدق ، فان الذى يحضر هو الخادم ••• أما السادة فانهم لا يتركون عالَمهم ويحضرون بهذه السذاجة • انما الذى يحضر فى الجلسات ويهرِّج على الموجودين هى الأرواح السفلية والجن ومن فى مستواهم ، أما الأرواح البشرية فهي فى عالم آخر، هو

---

(1) سورة ق : 22 ـ 29

عالم البرزخ ، ولا يمكن استحضارها،ولكنها قد تتصل بمن تحب في الحلم إذا توفرت الظروف الملائمة » (1)

ومن ناحية أخرى فان هذه الروحية تزعم أن الأرواح في فترة البرزخ تستأنف ما كان لها من نشاط وهواية في الحياة الدنيا ، ولكن في دائرة أوسع وقدرة أعظم ، فبعضها يشتغل بالطب وعلاج المرضى ، وبعضها يشتغل بالنصح الفردي وحل المشكلات ، وبعضها يهيم في ذهول لا يدري أين مات ؟ ولا كيف مات ؟ والبعض الآخر أتيحت لهم ضروب من الخدمة الاجتماعية ، لعلها ترقى وتنال رضوان الله ، فتكفّر عما فاتها في الدنيا ، وتُصلح أخطاءها الماضية عن طريق محن جديدة. هذا ما يكتب الروحانيون في رسائلهم (2)

ولكن الاسلام يوضح في نصوصه المعتمدة من القرآن والحديث ألّا مكان بعد الموت لعمل ، ولا فرصة لتوبة ، ولا مجال لتدارك ما فات ، أو اصلاح ما فسد ...

فوق هذه الارض وخلال العمر المقدر للانسان فيها ، يصنع الانسان مصيره . ومن المستحيل أن تتاح له فرصة بعد الموت لتوبة إن كان آثما ، أو لارتقاء ان كان ناقصا

فهذه اجابة الله للمجرمين وهم يلقون جزاءهم :

« قالوا : ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوما ضالين . ربّنا أخرجْنا منها فان عدنا فانا ظالمون . قال اخسأوا فيها ولا تكلّمونِ

(1) حوار مع صديقي الملحد : 59 ـ 60

(2) الانسان روح لا جسد : ج 2/263 ـ 344

انه كان فريق من عبادي يقولون : ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين • فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوْكم ذكري وكنتم منهم تضحكون • اني جزيْتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون • (1)

وهذه الاجابة الالهية تكرار لما قد يسأله المجرمون عند ساعة الاحتضار ، عندما تذهب السكرة ، وتجيء الفكرة ، عندما يتلهفون على ماض ضاع سدى (2)

وفى العقيدة الاسلامية لا تفيد التوبة صاحبها عند الغرغرة ، ولا تنفعه يقظة ضميره بعد فوات الأوان • لذلك لم يقبل الله توبة فرعون ولا ايمانه • قال تعالى :

« **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال : إني تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار • أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما •** » (39)

كما أنه لم يقبل سبحانه ايمان المكذّبين لرسلهم ولا توبتهم عندما رأوا العذاب ينزل عليهم :

« **فلما رأوا بأسنا قالوا : آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يكُ ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا** » (4)

وهذا المعنى الساري فى آيات الله نرى مثله فى أحاديث النبىء صلى الله عليه وسلم :

---

(1) سورة المؤمنون : 106 ـ 111
(2) ركائز الايمان : 344 / 346
(3) سورة النساء : 346
(4) آخر سورة غافر

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له (1)

وخطب النبىء صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وإن لكم نهاية ، فقفوا عند نهايتكم .

ان المؤمن بين مخافتين . بين أجل قد مضى ، لا يدري ما اللهُ صانع فيه ؛ وبين أجل قد بقي . لا يدري ما اللهُ قاض فيه . فليأخذ امرؤ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبَر ، ومن الحياة قبل الموت .

والذي نفس محمد بيده : ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار »

وفى هذا المعنى يقول علي ابن أبى طالب كرم الله وجهه : « اليومَ عمل بلا حساب ، وغدا حسابُ بلا عمل »

فالأرواح بعد الموت يستغرقها الجزاء المقدور لها على ما قدمت فى حياتها الأولى . وتصوُّرُ استئنافها للعمل بعد الموت كما يزعم الروحيون إنما هو تصور معتلّ لا صلة له بالدين ، ولا يعتمد على أثارة منه (2)

ويظهر لمن يدرسون الاسلام وتعاليمه دراسة عميقة ممعنة أن الروحية الحديثة تعمل على ترويج دين تنسخ به تعاليم الأنبياء ،

---

(1) رواه مسلم .

(2) ركائز الايمان : 350

وتحمل بين جنباتها أفكارا هدّامة لكثير من قيمنا الروحية ولتعاليم السماء • إنهم يلمسون من خلال العبارات المحمومة التى تلقيها الأرواح عن طريق الوسطاء مجموعة خرافات تنبت من الأرض،ولم تنزل من السماء،وأن من أوحى بها ليسوا أرواحا هادية ، وانما هى سخرية الشياطين بالبشر فى مجالس الأشباح والأوهام،ليملوا عليهم هذه المنكرات ان كان ما يدّعونه لم يفتروه

قال الله تعالى : « **وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا • ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون** » (1)

وخلاصة القول : فان التصور الاسلامي الصحيح لعقيدة البعث يقوم على هذه المبادىء والأصول،وهى : (1) للوجود غاية ــ (2) وللعالم نهاية ، ــ (3) والموت انتقال لافناء ، ــ (4) والقبر أول منازل الآخرة ، ــ (5) والبرزخ مستقر الأرواح قبل البعث ــ (6) والروح محدثة ولا تفنى •

ومتى انحرف الفكر والمعتقد عن أصل واحد من هذه الأصول اختلت العقيدة السليمة لتصوّر البعث واليوم الآخر طبقا للصورة التي وضعها القرآن والسنة فى إطار قارّ لا يتغير •

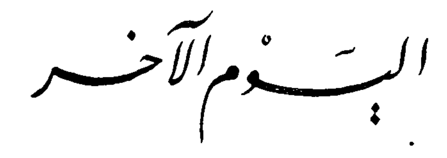
فاليوم الآخر إنما يبدأ بالبعث ، وهو إعادة الإنسان روحاً وجسدا ، وإن اختلفت نشأته الثانية عن الأولى.

« يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا لله الواحد القهار».

---

(1) سورة الانعام : 103 •

(2) سورة ابراهيم : 48



يهتم القرآن الكريم اهتماما بالغا بتقرير حقيقة اليوم الآخر وما يكون فيه من بعث وحساب وجزاء ، ثم ما يتبعه من حوض وصراط وشفاعة ؛ ودعيم الايمان به في القلوب بوصفه ركنا من أركان العقيدة الاسلامية ٠

ويتجلى هذا الاهتمام :

(I) بكثرة ذكره له ، فلا تكاد تخلو سورة من الحديث عنه ولو فى إشارة أو تلميح ، مع تقريبه الى الأذهان تارة بالحجة والبرهان وتارة بضرب الأمثال ٠ وكثيرا ما يتحدث عن الدنيا كأنها ماض كان ، والأخرى كأنها الحاضر الآن ٠ وينتقل الكلام فجأة من الوصف المجرد الى الحوار ، فيخيل الى السامع أن المشهد حاضر يوجّه فيه الخطاب، وذلك للتأثير فى النفوس ٠

« وسيق الذين كفروا الى جهنم زُمرا ، حتى اذا جاءوها فتّحت أبوابُها وقال لهم خزنتها : ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى ٠ ولكن حَقّت كلمة العذاب على الكافرين » (1)

لقد عني القرآن بمشاهد اليوم الآخر ، فلم يعد ذلك العالَم الذى وعده النّاس بعد هذا العالم موصوفا فحسب ، بل عاد

(I) سورة الزمر : 7I ٠

مصوّرا محسوسا ؛ وحيّا متحركا ، وبارزا شاخصا ، وعاش المسلمون فيه ، فرأوا مشاهده ، وتأثروا بها ، وخفقت قلوبهم تارة ، واقشعرت جلودهم أخرى ، وسرى فى نفوسهم الفزع مرة، وعاودهم الاطمئنان أخرى ، ولفحهم من النار شواظ ، ورفّ اليهم من الجنة نسيم • ومن ثّم باتوا يعرفون هذا العالم قبل اليوم الموعود ، وقد أضحى لديهم واضحا وضوح العقيدة الاسلامية : موت وبعث ، ونعيم وعذاب ؛ لأن هذه الحقيقة الواضحة يعرضها القرآن فى صور شتى ، وترتسم فى عالم حافل بالمشاهد المنتَزعة من عالم الأحياء ، وتتراءى فى عديد الألوان والأشكال والسّمات فتؤلف بذلك ملاحم فنية رائعة تتملاّها النفس ، ويتابعها الخيال ويستغرق فيها الحس • (1)

تأمل فى هذا المشهد القرآنى المخيف ، كيف يرسم فى إشارة صورةً لهول هذا اليوم،تتجاوز الانسان الى الطبيعة كلها !

« وذرنى والمكذّبين أولى النَّعمة ومهّلهم قليلا • ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما • يوم ترجف الأرض والجبال ، وكانت الجبال كثيبا مهيلا • انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا ، فكيف تتقون ـ ان كفرتم ـ يوما يجعل الولدان شِيبا • السماء منفطِر به ، كان وعده مفعولا » (2)

وهذه آيات تعبر فى ايجاز محكم عن مصير الذين ينكرون البعث واليوم الآخر ، فتصور لهم المقدمات التي

---

(1) سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن : 38 ـ 39

(2) سورة المزمل : 28

تسبق يوم القيامة ، وما يكون فيها من ظروف عصيبة • وقد استعمل القرآن لذلك ألفاظا فيها فخامة تملأ الفم ، ورعب يملأ الفؤاد • فأبدع أيما ابداع في ابراز الصورة المخيفة • ومن هذه المفردات مثلا : جهنم ، مرصادا ، للطاغين ، أحقابا ، حميما غساقا ،

فلو أبدلت هذه بنظائرها لكان التعبير صورة باهتة شاحبة خالية من التأثير •

وكثيرا ما تُعنى هذه المشاهد بتصوير النعيم والعذاب بعد البعث والحساب ، فتعرضهما مرة ماديْين يلمسهما الحس ، ومرة تجمع بين هذا اللون وذاك (I)

يقول الدكتور مصطفى محمود :

« كان من أسباب انصرافي عن القرآن في شبابي ما قرأته من أنهار العسل وأنهار الخمر في الجنة ، وأنا لا أحب العسل ، ولا أحب الخمر • فاعتبرت هذه سذاجات ، وانسحب حكمي على القرآن،ثم على الدين كله • والساذج في واقع الآمر لم يكن إلا آنا فأنا لم أحاول أن أتفهم النص القرآني ، ولا أن أعكف حتى على ظاهر عبارته ، فما بال باطنها •••؟ وكنت في عجلة من أمري، وكان الانصراف غايتي وشهوتي ، وغطت هذه الشهوة على كل شيء ، فضاعت معالم الحقيقة من أمامي ، وفاتتني أمور كانت شديدة الوضوح •

فماذا يقول القرآن في الجنة ؟

(I) مشاهد القيامة في القرآن : 45

« مثَل الجنة التى وُعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسِن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لـذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى » (1)

والآية تبدأ بأنها ضرب مثَل : « مثَل الجنة التى وَعد المتقون »

وليست ايرادا لأوصاف حرفية • فهذا أمر مستحيـل ، لأن الجنة والجحيم أمور غيبية بالنسبة لنا ، لا يمكـن تصويرَها فى كلمات من قاموسنا تماما ، كما يسألك الطفل عن أشياء فـوق تصوره فتحتار كيف تصفها له، وتختار له شيئا من خبراته اليومية على سبيل ضرب المثل وعلى سبيل التقريب • ومع ذلك فما أبعد المعنى ! • • • ولكن القرآن لا يتركنا فى ضبـاب الأمثلـة ، فما يلبث أن يقطع بالقول الفصل :

« فلا تعلمُ نفس ما أُخفي لهم من قرة أعيُن جزاء بما كانوا يعملون» (2) هنا كل منى العين والقلب ، مما لا يمكن تصويره بألفـاظ •

إنه يحيل القضية كلها الى غيب لا يمكن التعبير عنه بلغـة الأرض • (3)

ولكن هذا لا ينبغي أن يحمل على القـول بأن مـا ورد فى وصف نعيم الجنة من أشجار وأنهار وظل ظليل ، وفاكهة وثمار ، ليست إلا جريا على ما يحبه العرب مما حُرموا منه فى صحرائهم

---

(1) سورة محمد : 15

(2) السجدة : 17

(3) القرآن محاولة لفهم عصرى : 75 — 77

القاحلة ، حتى يكون ذلك أدعى للتأثير عليهم ، وجلبهم الى حظيرة الايمان ، وهي نزعة المستشرقين ومن سار فى فلكهم عند تفسيرهم للآيات التى تضمنت ما أعد الله للمؤمنين من نعيم مقيم فى جنة الخلد ، وما أعد للمشركين والملحدين في آياته من عذاب وأهوال فى الجحيم • وهو تضليل وتكذيب بوعد الله ووعيده •

والحقيقة أن القرآن الكريم أراد أن يؤكد فى أذهان البشر حقيقة واقعة عن الجنة ومُتعها ونعيمها وأحوالها ، وعن النار وعذابها وشدتها وأهوالها ، حتى يتسنى للانسان أن يقف على صورة قريبة من ذلك ، ولا بد أن تكون هذه الصورة من جنس ما يعرفه ، وأن يكون التشبيه من واقع ما يعلمه ، وأن يكون المثّل ممّا مر به (1)

وللانسان أن يتصور مدى الفارق بين الحقيقة ، والمثَل أو الصورة • ولا ننسى فى هذا الصدد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن اليوم لآخر ، وما استعرض فيها من مواقف القيامة التى تبدأ بالنفخ فى الصور ، وتنتهي بوصف مقاعد الجنة ومهاوي النار فى وضوح فكرة ، وإجادة تصوير •

ولعل من المفيد أن نعرض بعض المشاهد كما رسمها البيان النبوي الخالد عن اليوم الآخر :

فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك • أين ملوك الأرض ؟ » (2)**

(1) عبد الرزاق نوفل : يوم القيامة : 152

(2) رواه مسلم

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » (1)

وقد جرى هذا الحديث مجرى المثل شهرة واستفاضة . وهو على قلة ألفاظه لا يدع لنفس المؤمن بعده من مأمل . فكل ما أمكن أن يتخيله التصور الانسانى من نعيم ومتعة يندرج فيه لا محالة . وذلك بعض ما يعطيه الأدب البليغ ، اذ يُشبع النفس ريّا بكلمات معدودات . وللرسول فى ذلك مجال لا يبارَى ، ولا يشق له غبار . وما أكثر ما تحدث صلى الله عليه وسلم عن حشر الناس حفاة كما خُلقوا ! أما الموقف نفسه فقد قال فيه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابن عمر :

« تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم بمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق . فمنهم من يكون الى كعبيه ، ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق الجاما ، وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فيه » (2)

أرأيت بحرا يعوم فيه الناس ، وقد اختلف ارتفاع موجه هبوطا وصعودا وفق ما قدمه السابحون ، وحرارة الشمس اللاهبة فوق الرؤوس ، دانية بشواظها اللفاح . فاى موقف هذا الذى صوره البيان المحمدي فى أوجز عبارة ؟ (3)

---

(1) رواه مسلم

(2) رواه البخارى

(3) انظر : صور القيامة فى أدب محمد . لمحمد رجب البيومى . مجلة الاقلام ج : 9 . س : 4

أما أحاديث الشفاعة فهى كلها رائعة مؤثرة ، وكل حديث منها يمثل قصة شيقة ذات عرض وحوار وأحداث .

ولم يعرف الأدب العربي قبل الاسلام وصفا كاشفا لليوم الآخر . وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من أضاف للأدب العربى – بما نزل عليه من وحي – صورا مؤثرة نافذة فتحت العيون على آفاق واسعة من عالم الغيب الذى لم يكن الجاهليون وغيرهم يعرفون عنه شيئا . وقد وجد لدينا من الأدباء من استغل أحاديث القيامة التى وردت فى القرآن والحديث فى انتاجه الفني كالمعري فى رسالة الغفران ، حتى تأثر الأدب العالمي بهذه الأحاديث، لما فيها من قوة التصوير وعمق الادراك واثارة العاطفة .

« فدانتي » حين تحدث فى (الكوميديا الالهية) عن الجحيم قد أتى بصور اسلامية لا تعرفها المسيحية ، وانما تلوح مصادرها فى آيات القرآن وأحاديث الرسول .

وملتون حين وصف نعيم الجنة فى (الفردوس المفقود) انما استلهم القرآن والحديث فى بعض ما نظم .

2) كما يتجلى اهتمام القرآن باليوم الآخر :

فى ربط الايمان به بالايمان بالله

وكثيرا ما يلاحظ هذا الربط فى القرآن الكريم كقوله تعالى:

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ، ولكنِ البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر ... » (1)

---

(1) سورة البقرة : 177

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين من آمن بالله واليوم الآخر» (1)

3) فالمتتبع لآي القرآن يجد لهذا اليوم أسماء كثيرة ، وكل اسم منها يدل فى الغالب على ما سيحدث فى هذا اليوم من أهوال

فهو يوم البعث : لأن الخلائق تبعث فيه :

« وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث • فهذا يوم البعث ، ولكنكم كنتم لا تعلمون »(2)

وهو يوم الدين : لأن كل نفس تُجزى فيه بما كسبت :

« مالك يوم الدين » (3)

وهو يوم الحساب : لأن الخلائق تحشر فيه للحساب

« ••• إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » (4)

وهو يوم الخروج : لأن الناس يخرجون فيه من الاجداث سراعا :

« يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يومُ الخروج » (5)

---

(1) سورة البقرة : 62

(2) سورة الروم : 56

(3) سورة الفاتحة :

(4) سورة غافر : 27

(5) سورة ق : 42

وهو يوم الحسرة : لأن العصاة يتحسرون فيه على ما فرطوا من جنب الله :

« وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضي الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » (1)

وهو يوم التغابن : لأنه يغبن فيه أهل الجنة أهل النار :

« يومَ يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابُن » (2)

وهو يوم الفصل : لأن الله يفصل فيه بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون ، ويقتص فيه للمظلومين من الظالمين :

« ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين • يوم لا يغني مولًى عن مولى شيئا ولا هم يُنصرون • الا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم » (3)

وانما اهتم القرآن هذا الاهتمام باليوم الآخر لعدة اسباب أهمها :

1) — أن المشركين من العرب ينكرونه شديد الانكار

« وقالوا : ما هي الا حياتُنا الدنيا نموت ونحيا » (4)

2) أن تصور أهل الكتاب لهذا اليوم قد بلغ منتهى الفساد ، فلا بد أن يقول القرآن فى كثير من المناسبات كلمته الفاصلة •

---

(1) سورة مريم : 39
(2) سورة التغابن : 9
(3) سورة الدخان : 40 — 42
(4) سورة الجاثية : 24

فالنصارى يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادي المخلّص. الذى يفدي الناس بنفسه، ويخلّصهم من عقوبة الخطايا كما خلص البشرية ـ حسب زعمهم ـ من تبعات خطيئة آدم

وهذا يطابق ما يقوله الهنود فى «كرشنا، وبوذا» (1) وعقيدة اليهود فى اليوم الآخر لا تقل فى ضلالها وفسادها عن عقيدة النصارى، كما حكى ذلك القرآن :

« وقالوا : لن تمسنا النار الا أياما معدودة . قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يُخلف الله عهده، أم تقولون على الله ما لا تعلمون » (2)

« وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلمَ يعذبُكم بذنوبكم، بل أنتم بشر ممن خلق ؟ » (3)

والفكرة الحديثة للمعتقدات اليهودية حول اليوم الآخر، أن الحياة فى عالمٍ بعد الموت منقوصة بلا أمل . والديمومة فيها جامدة مملة ـ كما سبق بيان ذلك .

3) ـ ان من الخير للانسان أن يعلم علم اليقين بأن عمره فى هذه الدنيا ان لم يكن وسيلة للترقي، فلن يُشرق غده، وأن الصلة وثيقة بين فعل الخير فى الدنيا،وما يعقبه من سعادة فى الآخرة، وبين اقتراف الشر،واستحقاق العذاب الأليم .

---

(1) انظر : العقائد الاسلامية : 260 ـ 261

(2) سورة البقرة : 80 ـ

(3) سورة المائدة : 18

وأكثر الناس يُذهلهم ما بين أيديهم عمّا وراءهم أو عما ينتظرهم كما قال شاعر عربي :

ما مضى فات والمؤمّل غيب ولك الساعةُ التى أنت فيها

ثم انه لا دافع للخير ، ولا رادع عن الشر ، ولا حافز على مراقبة النفس ومحاسبتها كالايمان بأن حياة القيامة من الأمور الثابتة التى لا تقبل الشك أو الجدل

« ربّنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه • ان الله لا يخلف الميعاد » (1)

ومتى آمن الانسان بأن الدنيا ممرّ للآخرة فلم يجعلها أكبر همه اعتقادا منه بأنها زائلة ، وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة ، وأن الآخرة خير وأبقى ؛ هان عليه أمرها ، وخلص نفسه من آفتي الحرص وطول الأمل ، وتمسّك بدينه ، ودان نفسّه وعمل لما بعد الموت •

وما هذا الخواء الذى يلف غرباء العصر ، أو المتغربين من شبابنا الضائع ، الراكضين فى المتاهات ، المشدودين الى الارض ، المستعبّدين للمادة • تحكمهم الحتمية من خارج ، وتسد منافذهم الباطنية والخارجية الى الحرية ، الى تجاوز الطعام والشراب واللذة الحسية صوبَ عالم القيم والمعتقدات ، لم يكن هذا الخواء الروحى وآثاره المهيمنة عليهم الا نتيجة انعدام الايمان بما وراء الموت •

(1) سورة آل عمران : 9

قال ق • لوبون (G. Le Bon) : ان من الفلسفات الحديثة ما يهدم القيم الروحية والاخلاقية التى كانت تقوم عند الشعوب الكاتوليكية قرونا طويلة على أساس الدين ، وهو الايمان بالله قوي قد أعدّ العقاب لمن خرج عن أمره • ولمّا تزعزع الدين وضعف سلطانه ، فقدت الاخلاق أساسها المتين ، وفقد الانسان كل اطمئنان نفسي فى الحياة ، وانهارت بذلك المبادىء التى كانت قوة عظيمة تحرك السلوك وتوجّهه (1)

أما بداية اليوم الآخر فتسبقه شروط وعلامات،ورد بعضها فى القرآن وبعضها الآخر فى الحديث مفصلا • وهى شروط الساعة وعلاماتها كخروج ياجوج وماجوج بانهيار السد الذى أقامه ذو القرنين عليهم :

«فاذا جاء وعد ربي جعله دكّا ، وكان وعد ربي حقا» (2)

وقال تعالى :

« ••• يوم يأتي بعضُ آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا » (3)

روي أن أبا هريرة قال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها • فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها ••••••

---

(1) روح التربية (ت) طه حسين : 111

(2) سورة الكهف : 98

(3) سورة الانعام : 159

ثم قرأ هذه الآية (1)

وهكذا في لحظة محدّدة سبق تقديرها في علم الله جل شأنه منذ الازل ستقوم القيامة بغتة ، والنهضة العمرانية في الأرض تكون قد بلغت أوجَها كما يشير الى ذلك القرآن • ولكن هـذا الموعد ــ رغم تلهف الناس على معرفته ــ مما استأثر به علـم الله وحده :

« يسألونك عن الساعة ، أيان مرساها ؟ قل : إنما علمهُا عند ربى لا يجلّيها لوقتها الا هو • ثقلتْ فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة • يسألونك كأنك حفيّ عنها • قل : انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (2)

وقد بين القرآن الفرق بين الذين يؤمنون بالساعة والذين لا يؤمنون بها : « **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بهـا ، والذيـن آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق • ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد » (3)**

ولعل مما يثير الفكر حقا ، أن يعرف كيف تمر السنون الطويلة على الذين ماتوا منذ آلاف السنين ، وما زالت أرواحهم فى البرزخ تنتظر يوم القيامة لتبعث فى أجسادها ؟ بل كيف سنمر بها نحن؟ وهذا الذى انقضى على موته ألف سنة ، أي قلق يعيش فيه مـن طول المدة ؟

---

(1) رواه البخارى

(2) سورة الاعراف : 187

(3) سورة الشورى : 18

والجواب : أن الانسان بموته ينعدم إحساسه بالزمن . فكل من ماتوا قديما ومن سيموتون قبل يوم القيامة بقليل ، عندما تقوم الساعة يتساوون فى الشعور بأنهم ماتوا قريبا ، ولم تمر عليهم الازمنة التى نشعر بها نحن فى الدنيا ، لان انعدام الزمن سيجعلهم يعتقدون أن قيام الساعة انما كان بعد موتهم بساعة على الاكثر (1)

وما أروع القرآن الكريم وهو يقرر هذه الحقيقة فى ألفاظ بليغة واضحة المعنى : « **ويوم يحشرهم كأنْ لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم** » (2) وان المجرمين يودون لو طال بهم أمد الموت ، وتؤلمهم سرعة قيام الساعة ، فيُقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة :

« **ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة . كذلك كانوا يؤفكون** » (3)

وقال جل شأنه :

« **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ، وتظنون إن لبثتم إلا قليلا** » (4)

فنستخلص من ذلك أن الغلط ينشأ كثيرا عن قياس الغائب على الشاهد ، فنقيس أحوال الانسان بعد الموت على أحوالها قبله، باعتبار أن الروح تبقى بعد مفارقة الجسد على ادراكها، تعرف وتسمع وتحس. ولكن ما أبعد الفرق بين الحالين !

---

(1) يوم القيامة : 129
(2) سورة يونس : 45
(3) سورة الروم : 55
(4) سورة الاسراء : 52

كيف يكون البعث

يستفاد من مجموع الآيات الكريمة الواردة فى اليوم الآخر آن هذا اليوم يبدأ بفناء عالمنا هذا ، وتبدّل الارض والسماوات، ثم يُنشىء الله النشأة الآخرة ؛ فيبعث الناس جميعا ، ويرد اليهم الحياة مرة أخرى • بأن يجمع أجزاءهم ويعيد الأرواح إليها لقوله تعالى : « **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة** » (1)

وقد أجمع أهل الملل على أن البعث هو معاد الابدان بعد النفخة الثالثة قال تعالى : « **ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسِلون** » (2)

« **ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون** » (3)

«**واستمعْ يوم ينادي المنادي من مكان قريب • يوم يسمعون الصيحة،بالحق ذلك يوم الخروج**» (4)

ويسمّى هذا اليوم فى الاصل بيوم القيامة لأن الناس يقومون فيه كي يجتمعوا لفصل القضاء • وقد جاء فى ذلك قوله تعالى :

«**يومَ يقوم الناس لرب العالمين**» (5)

---

(1) سورة يس : 51
(2) سورة يس : 51
(3) سورة الزمر : 68
(4) سورة ق : 41
(5) سورة المطففين : 6

وذلك لأنه بموته يخرج من الزمان والمكان • فتُطوى الأحقاب لا يدري بها فى رقدته وكأنها نومة ، لذلك يقول الكافرون عند البعث :

- « **يا ويلنَا منّ بعثنا من مرقدنا ؟** » (1)

وليس من المبالغة القول بأن ما يتبقى على يوم القيامة بالنسبة لنا،هو ما يقي لكل منا من سنوات أعمارنا فى الدنيا • فالقيامة بهذا الاعتبار قريبة (2)

آما بعث الاجساد فبِجمع أجزائها المتفرقة لانشائها نشأة جديدة،فان الحكمة فى الاعادة أبلغ فى الجزاء،وفى إظهار القدرة الالهية من إنشاء أجسام جديدة ، أو من بعث مقتصر على الأرواح، رغم آنها هى المدرِكة وحدها لأثر الطاعة أو المعصية فى الدنيا ، وللذة الجزاء أو ألمه فى الأخرى ، وأن البدن ليس الا آلة لها • ولكن اذا كانت آلة الكسب هى آلة الجزاء كان ذلك أبلغ فى كمال العدل •

قال الله تعالى :

«كما بدأْنا أول خلْق نعيده • وعدًا علينا إنا كنا فاعلين»(3)

ومن حكمة الاعادة أيضا أداء الشهادة • قال سبحانه :

« يوم تَشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون » (4)

---

(1) سورة يس : 52

(2) مصطفى محمود : القرآن محاولة لفهم عصرى : 183

(3) سورة الأنبياء : 104

(4) سورة النور : 24

والمقصود من شهادة الأعضاء إظهار الغاية القصوى فى كمال العدل الالهي ، وذلك ليعذر الانسان من نفسه،اذا هو لم يرض بشهادة الملائكة عليه ، أو لم يأخذ بمجرد علم الله تعالى ، فيتوهم أن الإنكار ينفعه

ثم إن اختلاف النشأة الثانية عن النشأة الأولى لا يناقض هذه الحقيقة • فان المعروف الآن عند علماء الحياة ووظائف الأعضاء أن بدن الانسان فى تبدل دائم ، وحددوا مدة تبدل البدن كله بسبع سنوات • فهو دائما فى خلع ولبس حسب الاصطلاح الفلسفى من عظام ولحم وأنسجة وشرايين وخلايا ومع هذا فمن ارتكب جرما ثم عوقب عليه بعد مدة تبدلت فيها خلايا بدنه،فلا يقال عرفا ولا عقلا أن المعاقب غير المجرم،حتى من حيث الإحساس والشعور بالذنب • فمن قَتل مثلا فى شبابه واقتُص منه فى هرمه،فما عوقب الا الجاني رغم تبدّل خلاياه • وهذا يدل على أن الانسان شخصية تعقل وتريد وتحس وتسيء راكبة مطية البدن ، لابسة ثياب الاعضاء • فمهما تبدلت المراكب والثياب فالشخص هو الشخص على أي مركب ركب ، وبأى ثوب ظهر •

وقد ذكر بعض علماء النفس أن للانسان ذاكرتين ، لا ذاكرة واحدة : ذاكرة خارجية تنتمي الى الانسان الطبيعي ، وذاكرة داخلية تنتمى الى الانسان الروحي (أى الجسد الاثيري)، فكل ما فكر فيه الانسان وأراده ونطق به وعمله ، وما سمعه ورآه قد تم تسجيله فى ذاكرته الداخلية أو الروحية التى يعرّفها علم النفس الحديث بالعقل الباطن •

ومن حكمة الجزاء الجسمانى :

ـ أ ـ تنعيم الارواح وتعذيبها بما هو من جنس ما ألفته في الدنيا بواسطة الابدان ، فان الارواح لطول صحبتها لها واعتيادها اللذات والآلام ، التى تصل اليها بواسطتها تبقى بعد مفارقة الأبدان متصوّرة تلك اللذات والآلام ، متشوقة الى جنس تلك اللذات ، نافرة من جنس تلك الآلام . فاذا اعيدت اليها ثم نعمت بما هو من جنس اللذات التى ألفتها كان ذلك أكمل للذاتها ، وأتم لنعيمها ، من أن تنعّم بلذات روحية محضة . فكيف اذا جُمع لها الامران . وكذلك ان أعيدت اليها ثم عُذبت بما هو من جنس الآلام التى كانت تنفر منها كان ذلك أبلغ فى ايلامها من ان تعذب بآلام روحية محضة.فكيف اذا جُمع لها الامران معا ؟ (1)

قال تعالى فى وصف ما ينعم به أهل الجنة :

« **عاليهم ثيابُ سندسٍ خضر واستبرق وحُلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا** » (2)

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث يرويه عنه أبو هريرة :

قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، مصداق ذلك فى كتاب الله : « **فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** » (3)

وقال تعالى فيما توعدّ به أهل الضلال من عذاب :

---

(1) التنكيل بما فى تأنيب الكوثرى من الأباطيل : عبد الرحمن يمينى . ج : 2 / 312

(2) سورة الانسان : 21

(3) رواه البخارى ومسلم

« خذوه فغُلّوه ثم الجحيم صَلّوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه • انه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين • فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون » (1)

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث يرويه عنه سمرة بن جندب :

« منهم من تأخذه النار الى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه،ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ، ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته » (2)

الى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى أوردت نعيم الجنة وعذاب النار فى صور حسية ، وأكدت مادية وجود الانسان يومئذ ، ومادية مكانه الذى سوف يُمضي فيه حياته الأبدية • فهو فيه بجسده وروحه ، لان الناس سيبعثون كذلك ، ولكن فى نشأة صالحة للخلود كما قال عز وجل :

« وأن عليه النشأةَ الأخرى » (3)

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلقَ ثم اللهُ ينشىء النشأة الآخرة • إن الله على كل شيء قدير » (4)

---

(1) سورة الحاقة : 30 ــ 37

(2) رواه مسلم

(3) سورة النجم : 46

(4) سورة العنكبوت : 20

أما النعيم المعنوي وهو رضى الله الذى هو أعظم من كل تلك اللذات المادية فموجود كما جاء فى القرآن :

« ورضوانٌ من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » (1)

كما أن العذاب المعنوي كالخزي الذى يعتبر أشد ايلاما من النار موجود أيضا • كما ورد فى هذه الآية :

« ربنا إنك من تُدخل النار فقد أخزيته » (2)

فوجود العذاب والنعيم بنوعيهما الحسي والمعنوي فى الدار الآخرة دليل آخر على أن البعث يكون بالجسد والروح معا •

قال الله تعالى : **«ونُفخ فى الصور،فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسِلون » (3)**

أى يسرعون فى مشيهم مع مقاربة الخطوة • وذلك إنما يكون للأجسام

وقال سبحانه عن أهل الجحيم : **« كلّما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » (4)**

-ب-وفى الإيمان بذلك تصديق لوعد الله ووعيده واخباره بكل ما يتعلق بالآخرة ، وإبطال لشبهة الذين يزعمون أن ذلك من باب الترغيب والترهيب ، وكلاهما لا يؤثر فى الناس إلا إذا

(1) سورة التوبة : 72
(2) سورة آل عمران : 129
(3) سورة يس : 51
(4) سورة النساء : 55

كان من جنس ما ألفوه واعتادوه فى الدنيا مـن الملذات والآلام الجسمانية،ولكن الحكمة تقتضى وقوع ما أخبر به الله وتحقيقه حتى لا يكون إخباره كذبا • تعالى الله عن كل عيب او نقيصة •

أما الحالة التى يبعث عليها الناس،فانها تختلف اختلافا كبيرا بحسب أعمالهم فى الدنيا • فالذين صلحت عقائدهم ، وزكت نفوسهم يكونون أكمل أجسادا وأرواحا ، والذين خبثت أعمالهم وفسدت عقائدهم وانحطت نفوسهم يكونون أنقص أجسادا وأرواحا عند البعث • قال الله تعالى : « **ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنْكا ونحشره يوم القيامة أعمى • قال : رب لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتَها وكذلك اليوم تُنسى** » (1)

وروى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُبعث كل عبد على ما مات عليه » اى : من مات على خير يبعث على حالة حسنة ، ومن مات على شر بعث على حال شنيعة •

ويؤيد ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت : قلت • يا رسول الله ! ان الله أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم الصالحون فيهلكون بهلاكهم • فقال : « يا عائشة • إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون ، فيصيرون معهم • ثم يُبعثون على نيّاتهم » (2)

---

(1) سورة طه : 124 126

(2) رواه ابن حبان فى صحيحه •

أدلة البعث في القرآن

من العوامل التي أدّت بطائفة من الناس قديمـا وحديثا الى انكار البعث واستبعاد حقيقته،أن عقولهم لم تصدّق إعادة الأجسام بعد انعدامها و تحللها ، و بعد أن يتداخل بعضها فى بعض • فإن الانسان بعد أن يموت يتحول جسمه الى تراب ، ثم يتحول التراب الى نبات ، فيتغذى انسان آخر بذلك النبات ثم يموت • وهكذا يتحول كل انسـان كغيره ، فتتداخـل الأجسـام • فكيف يبعث الناس بعد هذا التداخل ؟

ولو تعمق هؤلاء قليلا لوقفوا على جليّة الأمر ، ولأدركـوا أن الموت فى واقعه ليس انعداما لأجزاء الانسان ، بل تفريقا لها • وعندما تتعلق ارادة الله بعودة الاجسام،يجمـع هـذه الاجـزاء المشتتة و يؤلفها على حالتها السابقة جسما وروحا وميزات • وذلك هو المعاد •

ويرشدنا الى هذا المعنى ما ورد في القرآن الكريم من سؤال ابراهيم الخليل ربه بقوله : أرني كيف تُحيي الموتى ؟

فكان جواب الله له : « فخذ أربعة من الطير فصُرهن اليك » بمعنى أن يقطعهـا ابراهيـم الى أجزاء صغيرة يختلط بعضهـا ببعض خلطا غير قابل للتجزئة والتمييز : « **ثم اجعل عـلى كـل جبل منهن جزءا ثم ادعُهن يأتينَك سعيا** » (1)

---

(1) سورة البقرة : 260

حيث يميز الله تعالى أجزاء كل طير عن صاحبه ويجمع أجزاء كل واحد منها مستقلا عن الباقى ، فاذا اكتملت لكل طائر هيئته الخاصة به أَودع فيه الحياة ، حتى يطمئن إبراهيم الى هذه الحقيقة ، ويتحقق علمه ، وينتقل من معالجة الفكر والنظر الى بساطة الضرورة بيقين المشاهدة وانكشاف المعلوم انكشافا لا يحتاج الى معاودة الاستدلال ودفع الشُّبه عن العقل (1) • وهى طريقة حسية أراه بها إحياء الموتى رأيَ العين •

وهذا المثل القرآنى الدقيق صريح الدلالة على أن الموت تفريق للأجزاء ، وليس انعداما لها كما يظن المنكرون الذين استعظموا عودة الحياة الانسانية بعد انقطاع الحواس وانفصال الشعور عن الجسد ؟

إن على من يفكر على هذا المنوال أن يعود بنظره الى التجربة التى تتكرر كل يوم،لكى يرى نوعا من حدوث الحياة بعد الموت • فالارواح تبارح أجسادها عند النوم كما يحدث فى الموت ، ثم يعيدها الله فى اليقظة •

فعلى أساس فكرة كمال الله المطلق بنى القرآن الشطر الاول من النظرية الدينية العامة : وهى أنه لا شيء فى الوجود يستحق العبادة سوى الله الواحد القهار ، وبنفس الفكرة يؤسس القرآن ايضا الشطر الثانىمن هذه النظرية،وهي الايمان بالحياةالأخروية

فكما أن الله هو الأول ، فهو الآخر ، إذ اليه مآلنا لنقدم له أعمالنا ، ونتلقى منه الجزاء الذى نستحق :

---

(1) محمد الطاهر ابن عاشور : التحرير والتنوير • ج : 39/3 •

« كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه تُرجعون » (1)

وهنا يجب التمييز بين نقطتين : الأولى : خلود الروح • والثانية : بعث الجسد • ولا نعتقد أن الدعوة الاسلامية قابلت معارضة تُذكر بشأن النقطة الاولى •

فالقرآن الذي يسجل بكل أمانة تفاصيل المعارضة التى أبداها خصوم المسلمين فى كل موضوع ، لم يذكر شيئا بشأن هذه النقطة بالذات • وهناك من الاسباب ما يجعلنا نفترض وجود فكرة مبهمة ـ وان كانت خيالية ـ عند العرب الوثنيين عن حياة الروح بعد الموت • فالشعر الجاهلي يوضح لنا أن تعطشهم الى الاخذ بالثأر جعلهم يؤمنون بكائن خرافي يسمونه « الهامَة » وهى ظل للروح • وكانت الهامة تحوم ليلا فوق جدث القتيل وهي تقول : اسقوني • فاذا اقتُص من القاتل امتنعت عن الظهور وعن ترديد مطلبها (2)

قال أبو دُؤاد الايادى :

سُلط الموت والمنونٌ عليهم فلهم فى صدى المقابر هامُ (3)

ولقد نفت السنة النبوية فيما نفتْ هذا المعتقد الجاهلي. فقال صلى الله عليه وسلم : لا طِيرة ولا عدوى ولا هامة •••••

---

(1) سورة البقرة : 28

(2) محمد عبد الله دراز : مدخل الى القرآن الكريم : 83 •

(3) محمد شكري الآلوسى : بلوغ الأدب فى معرفة أحوال العرب • ج : 2 / 312 ••

وأما النقطة الثانية،وهى الخاصة ببعث الجسد،فقد ركز عليها المشركون معارضتهم:

« **وقالوا أَإذا كنا عظاما ورُفاتا انا لمبعوثون خلْقا جديدا • قل : كونوا حجارة أو حديدا أو خلْقا مما يكبرُ فى صدوركم ، فسيقولون : من يعيدنا ؟ قل الذى فطركم أول مرة** » (1)

وبالمفهوم العلمي الجديد لأصل التكوين وهو الذرة،نستطيع أن ننظر الى هذه الآية من زاوية العلم •

فالكائنات على اختلافها لا تخرج عن واحد من ثلاثة: فهى إما مركّب من عنصر واحد كالحديد ، وإما من عناصر مختلفة كالحجارة ، وإما من جملة مركبات كالنجوم والشجر والانسان ونحو ذلك مما يكبر شأنه عند الناس • وكلُّ صنف من هذه الأصناف الثلاثة يتكوّن من ذرات ، وهي واحدة فى تركيبها وصفاتها • وهي أصل التكوين • والذي أنشأ هذه الذرة وما تشكَّل منها يستطيع أن يعيد انشاءها وما تشكَّل منها ، فذلك أهون عليه •

« **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيده وهو أهون عليه** » (2)

ولا نجد اليوم بعد ما عُرف عن حقيقة تركيب الأشياء أوضحَ من هذا التفسير الذى يوافق المفهوم العلمي للعصر (3)

---

(1) سورة الاسراء : 49 ـ 50 •

(2) سورة الروم : 27

(3) عبد العزيز عزام : فى الاسلام والعلم والحياة : 126

« ويقول الانسان أإذا ما متُّ لسوف أُخرج حيا • أوَ لا يَذكُر الانسان أنا خلقناه من قبلُ ولم يك شيئا » (1)

والانسان فى نفسه أقوى الحجج على نفي ما ينكره من البعث • فالله أحياه أوّلا وأماته ثانيا ، ولا تزال قدرته صالحة لاحيائه مرة أخرى،وجمعه فى يوم القيامة • ولكن الانسان شديد المراء والجدل •

ولعل المعري أراد أن يغلق باب الجدل مع السفهاء حين أشار الى ترجيح رأى المصدِّق بالآخرة ، وتقبيح حياة الالحاد وما يكتنفها من فساد :

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تُحشر الاجساد قلت : اليكما
إن صح قولُكما فلستُ بخاسر
أو صح قولي فالخسارُ عليكما

واذا نحن استعرضنا آيات البعث فى القرآن الكريم نلاحظ أولا : ما تنبّه اليه من أن الناس ليسوا من القوة والعظمة بحيث يتسنى لهم أن يروا رأي العين ما لا يأتي تحت حواسهم ، أو يعرفوه على حقيقته بالاعتماد على تجربة من تجاربهم ، لكنهم إذا فتحوا أعينهم رأوا آيات الله،وآثار حكمته ومظاهر قدرته الماثلة أمام أعينهم فى السماء وفي الارض وفي الانسان :
« اللهُ الذى رفع السماوات بغير عمَد ترونها ، ثم استوى على العرش • وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجرى لاجل مسمى • يدبِّر الأمر يفصِّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » (2)

---

(1) سورة مريم : 66 ـ 67
(2) سورة الرعد : 3

« وآيةٌ لهم الارض الميتة أحييناها ، وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » (1)

« قل : كونوا حجارة أوحديدا أو خلقا مما يكبرفى صدوركم فسيقولون : من يعيدنا ؟ قل : الذى فطركم أول مرة » (2)

لقد قدم القرآن للمعارضين فى البعث حججه الفاصلة فى صور مختلفة وطرق متنوعة،تدور كلها حول محور واحد • وهو إثبات قدرة الله الباهرة فى الانسان والطبيعة • فالإنسان وتطوره فى الخلْق ، وتحوّله من حال الى حال ، والارض وما تُخرجه من نبات،كل ذلك آية من آيات قدرته •

قال الله تعالى : « **يا أيها الناس ان كنتم فى ريْب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلقة لنبين لكم • ونقرُّ فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى • ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدّكم • ومنكم من يتوفى ومنكم من يُردّ الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعدِ علم شيئا • وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربتْ وأنبتت من كل زوج بهيج • ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير • وأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث مَن فى القبور** » (3)

يقول سبحانه : ان كنتم فى ريب من البعث فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون ، ولستم ترتابون فى مبدأ انتقال خلْقكم من

---

(1) سورة يس : 33

(2) سورة الاسراء 50 ـ 51

(3) سورة الحج : 5 ـ 8 •

حال الى حال حين الموت.والبعثُ الذى وُعدتم بـه نظيرُ النشـأة الاولى • فهما نظيران فى الامكان والوقوع ، فإعادتكم بعد الموت خلقا جديدا كالنشأة الاولى التى لا ترتابون فيها ، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها ؟

قال ابن القيم :

« وقد أعاد سبحانه هذا المعنى وأبداه فى كتـابه بأوجـز العبارات وأدلّها وأفصحها وأقطعهـا للعـذر ، وألزمها للحجـة كقوله تعالى :

« أفرأيتم ما تُمنُون • أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون • ولقد علمتم النشـأة الاولـى فلولا تذّكرون (1)

فدلّهم بالنشأة الاولى على الثانية ، وأنهم لو تذكروا لعلموا أنْ لا فرق بينهما فى تعلق القدرة بكل واحدة منهما • وقد جمع سبحانه بين النشأتين فى قوله : « **وضرب لنا مثلا ونسي خلقه • قال : من يحيي العظام وهى رميم ؟ قل يحييها الذى أنشأها اول مرة • وهو بكل خلق عليم • الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا • فاذا أنتم منه توقدون • أوليس الذى خلـق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ! وهو الخلاق العليم • إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون • فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون** » (2)

---

(1) سورة الواقعة : 58 ـ 62

(2) سورة يس : آخر السورة •

فتضمنت هذه الآيات عشرة أدلة :

أحدها : « أو لم ير الانسان ٠٠٠٠ » فذكّره بمبدأ خلقه ليدلّه به على النشأة الثانية ٠ ثم أخبر أن الجاحد لو ذكر خلقه لما ضرب المثل ٠ بل لمّا نسي خلقه ضرب المثل ٠

وفي قوله (ونسي خلقه) ألطف جواب وأبين دليل ٠ وهذا كما تقول لمن جحدك أن تكون قد أعطيته شيئا : فلان جحدني الاحسان اليه، ونسي الثياب التى عليه ، والمال الذى معه ، والدار التي هو فيها ؛ حيث لا يمكنه جحد أن يكون ذلك منك ،

ثم أجيب عن سؤاله بما يتضمن أبلغ الدليل على ثبوت ما جحده فقال : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » فهذا جواب واستدلال قاطع ٠ ثم أكد هذا المعنى بالاخبار بعموم علمه بجميع الخلق ٠ فإنّ تعذر الاعادة عليه انما يكون لقصور فى علمه أو قصور فى قدرته ٠ ولا قصور فى علم مَن هو بكل خلْق عليم ، ولا قدرة فوق قدرة من خلق السماوات والارض ٠ واذا أراد شيئا قال له : كن ، فيكون ، وهو الذى بيده ملكوت كل شيء ، فكيف تعجز قدرته وعلمه عن احيائكم بعد مماتكم ، ولم تعجز عن النشأة الأولى ولا عن خلق السماوات والارض ؟

ثم أرشد عباده الى دليل واضح جلي متضمن للجواب عن شُبه المنكرين بألطف الوجوه وأبينها وأقربها الى العقل ، فقال:
«الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون» فان هذا دليل على تمام قدرته ، وإخراج الاموات من قبورهم ، كما أخرج النار من الشجرة الخضراء ٠ وذلك جواب عن شبهة من قال من منكري المعاد : الموت بارد يابس ، والحياة طبعها

الرطوبة والحرارة ، فاذا حلّ الموت بالجسم فلا يمكن أن تحلّ فيه الحياة بعد ذلك،لتضادّ ما بينهما • وهذه شبهة تليق بعقول المكذبين الذين لا سمع لهم ولا عقل • فان الحياة لا تجتمع مع الموت فى المحل الواحد ليلزم ما قالوا • بل اذا أوجد الله فيه الحياة وطبعها ارتفع الموت وطبعه • وهذا الشجر الاخضر طبعه الرطوبة والبرودة ، ولكن تخرج منه النار الحارة اليابسة ، ثم ذكر ما هو أوضح للعقول من كل دليل وهو خلق السماوات والارض مع عظمها وسعتها،وانه لا نسبة للخلق الضعيف اليهما. ومن لم تعجز قدرته ولا علمه عن هذا الخلق العظيم الذى هو أكبر من خلق الناس ، فكيف تعجز عن إحيائهم بعد موتهم ؟

ثم قرر هذا المعنى بذكر وصفين من أوصافه مستلزمين لما أخبر به فقال : بلى ! وهو الخلاق العليم • فكونه خلاّقا عليما يقتضى أن يخلق ما يشاء ولا يعجزه ما أراده من الخلق •

ثم قرر هذا المعنى بان عموم ارادته وكمالها لا يقصر عنه ولا عن شيء أبدا فقال : « انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له: كن فيكون » فلا يمكنه الاستعصاء عليه ولا يتعذر عليه ، بل يأتي طائعا منقادا لمشيئته وارادته ،

ثم زاده تأكيدا وايضاحا بقوله : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء » فنزه نفسه عما نطق به اعدؤه المنكرون للمعاد ، معظما لها ، بأن ملك كل شيء بيده ، يتصرف فيه المالك الحق فى مملوكه الذى لا يمكنه الامتناع عن أي تصرف شاءه فيه

ثم ختم السورة بقوله : « واليه ترجعون » • كما أنهم ابتدأوا منه هو ، فكذلك مرجعهم اليه • فمنه المبدأ واليه المعاد » (1)

(1) محمد بن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين • ج : 1/140-142.

ان الفلاح يستودع ظلمات التراب حبات صغيرة، فاذا حقله يتحول إلى جنة يانعة • فما ظن الإنسان بنفسه ؟

فالأرض ومن عليها خلْق صغير بالنسبة الى الوجود الضخم الذى يزحم الفضاء البعيد ، ويزخر به الملكوت الرحيب

وشانُ الناس الى جانب العالم الآخر قليل • « **لَخلق السماوات والأرض أكبر من خلْق الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » (1) « فكيف يستكثر على من يقيم قصرا منيف الشرفات ، شاهق العمد، أن يبني كوخا تافها بعد هدمه! » (2)

ان من صنع سيارة ثم قام بتفكيكها الى آلاف من القطع الصغيرة ، ثم قال بأنه قادر على اعادتها كما كانت ، فليس هناك من يتصدى له ليطلب منه الدليل على هذه القدرة • وما ذاك إلا لأن فاعل الشيء أوّلا قادر على فعله ثانيا وثالثا والى مئات المرات • وبهذا النحو من الاستدلال على امكان المعاد ، برهن القرآن الكريم على بداهة البعث •

ورسول الله صلى الله عليه وسلم سار فى المنهج القرآني نفسه فى الاقناع به

فعن أبى رزين العقلي قال : يا رسول ! كيف يعيد الله الخلق ، وما آية ذلك ؟ قال « أمّا مررت بوادي قومك ، ثم مررت به يهتزّ أخضر ؟ قال : نعم • قال : فتلك آية الله فى خلقه ، كذلك يُحيي الله الموتى »

---

(1) سورة غافر 57

(2) عقيدة المسلم : 206

وهذا من نوع قياس الدلالة • وهو الجمع بين الاصل والفرع بدليل العلة وملزومها. ومثله قوله تعالى :

« ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة، فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربَتْ • ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير » (1)

فدلّ سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذى تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذى استبعدوه ، وذلك قياس احياء على إحياء ، واعتبار الشيء بنظيره • والعلة الموجبة هى: عموم قدرته سبحانه ، وكمال حكمته • وإحياء الارض دليلُ العلة •

ومنه قوله تعالى :

« وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج • ذلك بان الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور (2)

فقد جعل الله إحياء الارض بعد موتها نظير إحياء الأموات، واخراج النبات منها نظير اخراجهم من القبور ، وجعل ذلك آية ودليلا على خمسة مطالب :

أحدها : وجود الصانع ، وأنه الحق المبين ، وذلك يستلزم اثبات صفات كماله وقدرته وارادته وعلمه وحكمته ورحمته

---

(1) سورة فصلت : 39

(2) سورة الحج : 5 – 7

الثانى : أنه يحيي الموتى •

الثالث : عموم قدرته على كل شيء •

الرابع : إتيان الساعة، وانها لا ريب فيها •

الخامس : أنه يخرج الموتى من القبور، كما أخرج النبات من الارض •

وقد قرر سبحانه هذا الدليل فى كتابه مرارا لصحة مقدماته ، ووضوح دلالته ، وقرب تناوله ، وبعده عن كل شبهة (I)

كما استعمله فى ثلاثة أساليب وهى :

I) ـ الاسلوب الوصفي التقريري • وهو: تقرير الحقائق من خلال ما يشاهد أو يوصف كالآيات السابقة ، وكقوله سبحانه : « **وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يديْ رحمته حتى اذا أقلّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذّكرون**» (2)

2) ـ الاسلوب التمثيلي : وهو ضرب الامثال لتقريب المراد ، وتفهيم المعنى وايصاله الى ذهن السامع، واحضاره فى نفسه بصورة المثال • فان النفس تأنس بالنظائر والاشباه ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير • وكثيرا ما تبرز الأمثال المعقولة فى صور مجسمة، وتلبس ثوب المحسوس • ولا

(I) انظر اعلام الموقعين • ج : I/144 ـ I45

(2) سورة الأعراف : 57

يلزم ان تكون هذه الامثال خيالية أو مفترضة ، بل تكون حقيقة واقعة،كما فى مثل الرجل الذى مرّ على قرية : قيل هو عزيرا ، وقيل هو حزقيال نبى اسرائيل،كان معاصرا لأرميا ودانيال • وقد أراه الله إحياء العظام،وأراه آية فى طعامه وشرابه وحماره

« أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها • قال : أنّى يحيي هـذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم بعثه • قال كم لبثت ؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم • قال : بل لبثت مائة عام • فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنّهْ • وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما • فلما تبين له ، قال : أعلمُ أن الله على كل شيء قدير » (1)

فهذه مخاطبة بين الخالق وبعض عباده على طريق المعجزة ، ليجعل خبره آية للناس من أهل الايمان الذين يوقنون بما أخبرهم الله تعالى • وهذا بعث خارق للعادة • وهو غير بعث الحشر •

قال السيوطى : فان قلت : ما الحكمة فى أن عزيرا سأل الإحياء فعاقبه ، وابراهيم سأل مثل ذلك فأجابه ؟ فالجواب : أن عزيرا سأل عن القدرة ، فقال : أنّى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ وابراهيم سأل عن كيفية القدرة ، فقال : كيف تحيي الموتى ؟ اذ لا يشك نبي الله فى القدرة الالهية • فسؤاله إنما كان على جهة الاستخبار ، لا الانكار كما زعمه بعضهم (2)

---

(1) سورة البقرة : 258

(2) السيوطى : معترك الأقران فى إعجاز القرآن • ق : 35/3

3) ــ الاسلوب القصصى : الذى هو من الطرافة والتأثير بمكان ، لما للقصة من دور هام فى تكوين العقيدة والاخــلاق ، إذ كثيرا ما يشارك قرّاء القصة أبطالّهــا وجدانيــا ، وينفعلون لمواقفهم • فهي اذن أسلوب فى التوجيه بدون مواجهة ، ومنهج فى التربية بدون مصادمة • ومن أهداف القصة القرآنية تركيز عقيدة البعث فى القلوب ، ومن ذلك مثلا قصة أهل الكهف : وهم فتية تبين لهم الحق فى جو تسوده الوثنية والظلم ، فآمنوا بالله وعبدوه . ولما انكشف أمرهم لم يروا سبيــلا الى النجــاة،الا ان يفروا الى الله ، ويلجأوا الى كهف يستروحون فيه رحمته، عسى أن يهيِء لهم من أمرهم رشَدا • فيضرب الله عــلى آذانهــم فى الكهف ما يزيد على ثلاثمائة سنة ينامون فيها نومة طويلة،وكأنها يوم أو بعض يوم •

« أم حسبتَ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا مــن آياتنا عَجَبا الخ • • • • » (1)

لقد ناموا كالموتى ثم بُعثوا . وذلك هو المعنى الذى أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« • • واللهِ لتموتُن كما تنامون ولتُبعثُنّ كما تستيقظون • • »

والقرآنُ إذ يدعم عقيدة البعث بمختلف الوسائل والطرق، فليس ذلك فقط عــلى قــرار ألــزم الله به نفســه ، وإنما على أحد مستلزمات العدل الالهي والحكمة السامية ، حتى لا تكـــون حياة الانسان بلا غاية ولا هدف • إن حاجة الانسانية ملحة الى الآخرة ؛ لضمان الخلود ، واقامة العدل ، وتنظيم الحياة •

---

(1) سورة الكهف : 5 ــ 29 •

« وأقسموا بالله جَهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت • بلــى وعدا عليه حقا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ليبيِّن لهم الذي يختلفون فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كانــوا كاذبين » (1)

وهكذا فانّ الإيمـان بالبعث كالإيمـان بالله ، كلاهمـا لا يقبل شكـّاً ولا تردّدا ، لأن الفطرة السليمـة تنسـاق إلى هذا الإيمـان ، كمـا ينسـاق إلى المورد الظمـآن....

الإيمـان بالله يعرّف بـالمصدر الأول للوجـود ، والإيـمـان بالبعث يعرّف بمصير الإنسـان فيـه...

ومن حُرم هذه المعرفـة ولم يَسْم بروحـه ، أضحت حيـاته كحيـاة الأنعـام ، تسيّره الغرائز ، وتقوده الأهـواء.

والله جلّ جلاله لم يخلق الإنسـان بيديـه ، ولم ينفخ فيه من روحـه ، ولم يأمـر ملائكتـه الكـرام بالسجـود لـه ، ولـم يحمّلـه الأمانــة ، ولـم يجعل له الخلافـة ، ولم يسخر لـه ما في السموات وما في الأرض ، إلاّ ليجعل من وجوده غـاية ساميّـة تتفق مع حكمتـه العليـا وعدله المطلق ، حتى لا تذهب جهـود هذا الإنسـان سدى ، وحتى لا يستوي البَرّ والفاجـر ، وحتى يحصد كلٌّ ما غرس ، كمـا قال المعرّي :

تُشاد المغـاني والقبور دوارس ... ولا يمنـع المقـد ورباب ٌ وحـارسٌ
ومهمـا يَكُن فالله ليس بزائـلٍ ... ويجني الفتى من بعدُ ما هو غارسُ

وصدق الله في قـوله :

« وخلق الله السماوات والأرض بالحق،ولتُجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » (2)

---

(1) سورة النحل : 38 ـ 39

(2) سورة الجاثية : 22



مـراجـع البحث

الآلوسـى ٠ محمـد شكـرى
بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العـرب
(ط مصر 1958)

* * *

آل ياسيـن ٠ محمـد حسيـن
المعـــاد
(ط بيروت 1972)

* * *

اقبـــال ٠ محمــــد
تجديد التفكير الدينى فى الاسلام (تعريب) عباس محمود
(ط القاهرة 1955)

* * *

اميـــن ٠ احمـد ورفيقـــه
قصة الفلسفـة الحديثـة
(ط القاهرة 1936)

* * *

بنت الشاطىء ٠ عائشة عبد الرحمن
القرآن وقضايـا الانســان
(ط بيروت 1972)

* * *

جبـران ٠ خليل جبـران
المـواكـــب
(ط بيروت ٠ م٠ الكشاف)

* * *

نقــرة • التهــامي
سيكولوجية القصة فى القرآن
(ط تونس 1974)

* * *

الجــوزية محمــد بن قيّــم •
مــدارج الســالكين
(ط بيروت 1973)

اعــلام الموقعيــن عن رب العالميــن
(ط بيروت 1973)

التفسيــر القيــم
(ط بيروت)

* * *

ابــن حــزم • علــى
الفصل فى الملل والأهواء والنحل
(ط مصر 1317)

* * *

حسيــن محمد محمــد
اتجاهات هدامة فى الفكر العربى المعاصر
(ط بيروت 1970)

* * *

حمــزة محمد شاهيــن
مع الفكر الاسلامى فى بعض قضاياه
(ط القاهرة 1970)

* * *

خــان وحيد الديــن
الاسلام يتحدى (تعريب) ظفر الاسلام خان
(ط بيروت 1973)

الدين فى مواجهة العلم (تعريب) ظفر الاسلام خان
(ط القاهرة 1973)

* * *

خليـــل • عمـاد الديـن
فى النقد الاسلامى المعاصر
(ط بيروت 1972)

* * *

دراز • محمد عبد اللـه
مدخل الى القرآن الكريم
(ط الكويت 1971)

* * *

الرصـافى • معـروف
ديـوان الأوشـــال
(ط بغداد 1934)

* * *

ســـابق • سيـــد
العقـائد الاسلاميـة
(ط مصر 1967)

* * *

سلـــوم • محمـد
مختصر لوامع الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية
(ط مصر 1960)

* * *

السيوطـــى •• عبد الرحمـــن
لبـاب النقول فى أسباب النزول
(ط القاهرة 1954)
2) معترك الاقران في إعجاز القرآن ط — القاهرة 1973

* * *

شوقي • احمد
الشوقيات
(ط مصر 1946)

* * *

عبد الرزاق أبو بكر
النفحات الغزالية
(ط 2 القاهرة)

* * *

عبيد • رءوف
الانسان روح لا جسد
(ط القاهرة 1966)

* * *

عزام • محمد عبد العزيز
فى الاسلام والعلم والحياة
(ط دار الشرق 1971)

* * *

ابن عاشور • محمد الطاهر
التحرير والتنوير
(ط الدار التونسية للنشر)

* * *

العقاد عباس محمود
بعد الأعاصير
(ط مصر 1950)

* * *

الغزالي أبو حامد
احياء علوم الدين
(ط بولاق)

* * *

الغزالـــي **محمـــد**

ركـائز الايمان بين العقل والقلب

(ط بيروت 1967)

عقيـــدة المسلـــم

(ط دار الكتاب العربى 1952)

* * *

ابن قتيبـة **محمد بن عبد الله**

عيـون الأخبـــار

(ط القاهرة 1930)

* * *

القرطبــى **محمــد**

الجامع لأحكام القرآن

(ط مصورة • القاهرة 1967)

* * *

القشيــرى **عبد الكريـــم**

لطـائف الاشــارات

(ط القاهرة • تحقيق ابراهيم بيونى)

* * *

قطـــب **سيـــد**

فى ظـلال القـرآن

(ط I مصر)

مشاهد القيامة فى القرآن

(ط بيروت)

* * *

كـــرم **يـــوسف**

تاريـخ الفلسفة اليونانيـة

(ط مصر 1936)

* * *

لوبـــون **قوستــاف**

روح التربية (تعريب) طه حسين

(ط دار الهلال مصر)

* * *

محمـــود **مصطفـــى**

القرآن محاولة لفهم عصري

(ط بيروت 1973)

حوار مع صديقــي الملحد

(ط 1 ــ 1974)

* * *

مذكـــور **ابراهيـــم**

فى الفلسفة الاسلاميــة

(ط مصر 1968)

* * *

مظهـــر • **سليمـــان**

قصــة الديانـــات

(ط بيروت)

* * *

المعـــري **ابـو العـــلاء**

لـــزوم ما لا يلـــزم

(ط مصر 1924)

* * *

نـــاصر **محمـد علـــى**

أصـول الديـن الاسلامـي

(ط بيروت)

* * *

نوفــل • **عبـد الـرزاق**

يـوم القيـامـة

(ط القاهرة)

* * *

وافــي • **علــي عبد الــواحد**

اليهـود واليهوديـة

(ط دار الهناء مصر)

* * *

اليمنــي • **عبد الرحمــن**

التنكيل بما فى تأنيب الكوثري من الأباطيل

(ط مصر 1386 هـ)

* * *



الفهرس

انتهى طبع هذا الكتاب
بمطبعة دار القلم تونس
وتحجم مرسيليا - تونس